كتاب الشفا

بتعريف حقوق المصطفى

تأليف الفقيه [illegible]
أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض
اليحصبي رضي الله تعالى عنه ورحمه

[illegible] الذي قوبل هذا منه [illegible]
فنقلت منه في هذا الموضع بخط المؤلف رحمه الله تعالى عياض بن موسى
بن عياض اليحصبي [illegible] الفقيه [illegible] أبو محمد عبد
المنعم بن [illegible] الفقيه الأجل [illegible] أبي بكر يحيى [illegible]
[illegible] بعض [illegible] رواياته [illegible]
وعلى [illegible] عشر [illegible] جميعه [illegible]
[illegible] الفقيه الأجل [illegible]
[illegible] بخط هذا وكتاب [illegible]
أعلام [illegible] وكتاب بغية [illegible]
[illegible] الأنوار على [illegible] صحاح الآثار وكتاب [illegible]

وقف واحبس وتصدق بجميع
هذا الكتاب على من ينتفع به
سيدي الحاج احمد الشاوي غفر الله له
[illegible] رواق المغاربة

٩٣٢٧١٤
خصوصية ٦١٨

بسم الله الرحمن الرحيم [illegible]

قال الفقيه الولي العالم المتفنن الأكمل
القاضي أبو الفضل عياض بن موسى
بن عياض اليحصبي رضي الله عنه وأرضاه

الحمد لله المتفرد باسمه الأسمى المختص بالملك الأعز الأحمى
الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ووهما
الباطن تقدسا لا عدما وسع كل شيء رحمة وعلما وأسبغ على
أوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من أنفسهم عربا وعجما
وأزكاهم محتدا ومنمى وأرجحهم عقلا وحلما وأوفرهم علما وفهما
وأقواهم يقينا وعزما وأشدهم بهم رأفة ورحمى وزكاه روحا وجسما
وحاشاه عيبا ووصما وآتاه حكمة وحكما وفتح به أعينا عميا
وقلوبا غلفا وآذانا صما فآمن به وعزره ونصره من جعل الله له
في مغنم السعادة قسما وكذب به وصدف عن آياته من كتب الله
عليه الشقاء حتما ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى
صلى الله عليه صلاة تنمو وتنمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

أما بعد أشرق الله قلبي وقلبك بأنوار اليقين ولطف لي ولك
بما لطف به لأوليائه المتقين الذين شرفهم بنزل قدسه وأوحشهم
من الخليقة بأنسه وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته وآثار
قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة ووله عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا همهم
به واحدا ولم يروا في الدارين غيره فهم بمشاهدة جماله وجلاله

يتنعمون وبين آثار قدرته وعجائب عظمته يترددون وبالانقطاع إليه
والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم
في خوضهم يلعبون فإنك كررت علي السؤال في مجموع يتضمن
التعريف بقدر المصطفى عليه السلام وما يجب له من توقير وإكرام
وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر أو قصر في حق منصبه
الجليل قلامة ظفر وأن أجمع لك ما لأسلافنا وأئمتنا في ذلك من مقال
وأبينه بتنزيل صور وأمثال فاعلم أكرمك الله أنك حملتني من ذلك
أمرا إمرا وأرهقتني فيما ندبتني إليه عسرا وأرقيتني بما كلفتني
مرتقى صعبا ملأ قلبي رعبا فإن الكلام في ذلك يستدعي
تقرير أصول وتحرير فصول والكشف عن غوامض ودقائق
من علم الحقائق مما يجب للنبي ويضاف إليه أو يمتنع أو يجوز عليه
ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة والخلة وخصائص
هذه الدرجة العلية وها هنا مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر
بها الخطا ومجاهل تضل فيها الأحلام إن لم تهتد بعلم علم ونظر
سديد ومداحض تزل بها الأقدام إن لم تعتمد على توفيق من الله وتأييد
لكني لما رجوته لي ولك في هذا السؤال والجواب من نوال وثواب بتعريف
قدره الجسيم وخلقه العظيم وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق
وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو أرفع الحقوق ليستيقن الذين
أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولما أخذ الله تعالى على الذين
أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ولما حدثنا به أبو
الوليد هشام بن أحمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه قال نا الحسين بن محمد
أبو عمر النمري نا أبو محمد بن عبد المؤمن نا أبو بكر محمد بن بكر نا سليمان بن الأشعث
نا موسى بن إسماعيل نا حماد أنا علي بن الحكم عن عطاء عن أبي

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة فبادرت
إلى نكت مسفرة عن وجه الغرض مؤديا من ذلك الحق المفترض اختلستها
على استعجال لما المرء بصدده من شغل البدن والبال بما طوقه الانسان
من مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل وترد
بعد حسن التقويم إلى أسفل سفل ولو أراد الله بالانسان خيرا لجعل شغله وهمه
كله فيما يحمد غدا أو يذم محله فليس ثم سوى نضرة النعيم أو عذاب الجحيم
ولكان عليه بخويصته واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده وعلم نافع
يفيده أو يستفيده جبر الله صدع قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل
جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا إليه زلفى
ويحظينا بمنه ورحمته [illegible] تقريبه ودرجت تبويبه ومهدت
تأصيله وخلصت تفصيله وانتحيت حصره وتحصيله ترجمته بالشفا
بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم وحصرت الكلام فيه في أقسام
أربعة [illegible] الاول في تعظيم العلي الأعلى لقدر النبي صلى الله
وسلم قولا وفعلا وتوجه الكلام فيه في أربعة أبواب الباب الاول
في ثنائه تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول الباب
الثاني في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل
الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون فصلا الباب الثالث
فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته
وما خصه به في الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا الباب الرابع
فيما أظهره تعالى على يديه من الآيات والمعجزات وشرفه به من الخصائص
والكرامات وفيه ثلاثون فصلا القسم الثاني فيما يجب على الانام من
حقوقه عليه السلام ويترتب القول فيه في أربعة أبواب الباب الأول [illegible]

[illegible] في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول الباب
الثالث في تعظيم أمره ولزوم توقيره وبره وفيه خمسة فصول الباب
الرابع في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة
فصول القسم الثالث فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما
يمتنع ويصح من الأمور البشرية أن يضاف إليه وهذا القسم أكرمك الله هو سر
الكتاب ولباب ثمرة هذه الأبواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل
على ما نورده فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز
من غرض هذا التأليف وعده وعند التقصي لموعده والتفصي عن عهدته
يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن باليقين وتملأ أنواره جوانح
صدره ويقدر العاقل [illegible] حق قدره ويتحرر الكلام فيه
في بابين الباب الأول فيما يختص بالأمور الدينية ويتشبث به القول في
العصمة وفيه ستة عشر فصلا الباب الثاني في أحواله الدنيوية
وما يجوز طروؤه عليه من الأعراض البشرية وفيه تسعة فصول القسم
الرابع في تصرف وجوه الأحكام على من تنقصه أو سبه عليه السلام
وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الأول في بيان ما هو في حقه
سب ونقص من تعريض أو نص وفيه عشرة فصول الباب
الثاني في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر استتابته
والصلاة عليه ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه بباب
ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة ووصلة للبابين اللذين قبله
في حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته وكتبه وآل النبي عليه السلام
وصحبه واختصرت الكلام فيه في خمسة فصول وبتمامها إن شاء الله
تعالى ينتجز الكتاب وتتم الأقسام والأبواب ويلوح في غرة الإيمان لمعة

حديث وتشفي صدور قوم مؤمنين وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين
بالله تعالى لا إله إلا هو أستعين **القسم الأول في تعظيم**
العلي الأعلى لقدر المصطفى قولا وفعلا **قال الفقيه القاضي**
أبو الفضل وفقه الله وسدده لا خفاء على من مارس شيئا من العلم أو خص بأدنى
لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه السلام وتخصيصه إياه
بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما
تكل عنه الألسنة والأقلام **فمنها** ما صرح به تعالى في كتابه
ونبه به على جليل نصابه وأثنى به عليه من أخلاقه وآدابه وحض العباد
على التزامه وتقلد إيجابه وكان جل جلاله هو الذي تفضل وأولى ثم طهر
وزكى ثم مدح بذلك وأثنى ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى فله الفضل بدءا وعودا
والحمد أولى وأخرى **ومنها** ما أبرزه للعيان من خلقه على أتم وجوه الكمال
والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والأخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة
والفضائل العديدة وتأييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات
البينة التي شاهدها من عاصره ورآها من أدركه وعلمها علم يقين من
جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك إلينا وفاضت أنوارها علينا صلى الله
عليه وسلم كثيرا حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله
قراءة مني عليه قال حدثنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار وأبو الفضل
أحمد بن خيرون قالا حدثنا أبو يعلى البغدادي قال حدثنا أبو علي السنجي
قال حدثنا محمد بن أحمد بن محبوب حدثنا أبو عيسى بن سورة الحافظ قال حدثنا
إسحاق بن منصور نا عبد الرزاق أنا معمر عن قتادة عن أنس رضي الله عنه
أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به ملجما مسرجا فاستصعب
عليه فقال له جبريل عليه السلام أبمحمد تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله

عظيم قدره لديه **اعلم** أن في كتاب الله العزيز آيات كثيرة مفصحة
بجميل ذكر المصطفى وعد محاسنه وتعظيم أمره وتنويه قدره اعتمدنا
منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشرة فصول **الفصل**
الأول فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى
لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية **قال** السمرقندي وقرأ بعضهم من
أنفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم **قال القاضي** وفقه الله
تعالى أعلم الله تعالى المؤمنين أو العرب أو أهل مكة أو جميع الناس على اختلاف
المفسرين من المواجه بهذا الخطاب أنه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفونه
ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه وأمانته فلا يتهمونه بالكذب وترك
النصيحة لهم لكونه منهم وأنه لم يكن في العرب قبيلة إلا ولها على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولادة أو قرابة وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله
تعالى إلا المودة في القربى وكونه من أشرفهم وأرفعهم وأفضلهم على قراءة
الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد بأوصاف حميدة وأثنى عليه
بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم وإسلامهم وشدة ما يعنتهم
ويضرهم في دنياهم وأخراهم وعزته عليه ورأفته ورحمته بمؤمنيهم **قال**
بعضهم أعطاه اسمين من أسمائه رؤوف رحيم ومثله في الآية الأخرى
قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم الآية وفي
آية أخرى هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم الآية وقوله تعالى كما أرسلنا
فيكم رسولا منكم **وروي** عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه عليه
في قوله تعالى من أنفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن آدم
سفاح كلها نكاح قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم
خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية

وعن ابن عباس

وعن ابن عباس في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي إلى نبي حتى أخرجك نبيا صح

نبيا وقال جعفر بن محمد علم الله تعالى عجز خلقه عن طاعته فعرفهم
ذلك لكي يعلموا أنهم لا ينالون الصفو من خدمته فأقام بينه وبينهم مخلوقا من
جنسهم في الصورة ألبسه من نعته الرأفة والرحمة وأخرجه إلى الخلق سفيرا
صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته وقال من يطع الرسول
فقد أطاع الله وقال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قال أبو بكر
بن طاهر رحمه الله زين الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه
رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن أصابه شيء من رحمته فهو
الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما إلى كل محبوب ألا ترى
أن الله تعالى يقول وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وكانت حياته رحمة ومماته
رحمة كما قال عليه السلام حياتي خير لكم وموتي خير لكم وكما قال عليه
السلام إذا أراد الله رحمة بأمة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا
وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني الجن والإنس وقيل لجميع الخلق رحمة
للمومنين بالهداية ورحمة للمنافقين بالأمان من القتل ورحمة للكافرين بتأخير العذاب
قال ابن عباس رضي الله عنه هو رحمة للمومنين وللكافرين إذ عوفوا
مما أصاب غيرهم من الأمم المكذبة. وحكي أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لجبريل عليه السلام هل أصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت أخشى
العاقبة فأمنت لثناء الله تعالى علي بقوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم أمين. وروي عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه في معنى
فسلام لك من أصحاب اليمين أي بك وقعت سلامتهم من أجلك كرامة
محمد عليه السلام وقال تعالى الله نور السموات والأرض الآية قال كعب
وابن جبير رضي الله عنهما المراد بالنور الثاني هنا محمد صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى مثل نوره أي نور محمد وقاله سهل بن عبد الله المعنى الله هادي أهل

صفتها كذا وأراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره أي كأنه كوكب دري
لما فيه من الإيمان والحكمة يوقد من شجرة مباركة أي من نور إبراهيم عليه السلام
وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء أي تكاد
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل في
هذه الآية غير هذا والله أعلم وقد سماه الله تعالى في القرآن في غير هذا الموضع
نورا وسراجا منيرا فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال تعالى إنا
أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا
ومن هذا قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك إلى آخر السورة شرح وسع والمراد
بالصدر هاهنا القلب قال ابن عباس شرحه بالإسلام. وقال سهل
بنور الرسالة وقال الحسن ملأه حكما وعلما وقيل معناه ألم نطهر قلبك
حتى لا يؤذيك الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك قيل ما
سلف من ذنبك يعني قبل النبوة وقيل أراد ثقل أيام الجاهلية وقيل أراد ما أثقل
ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل عصمناك ولولا
ذلك لأثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي ورفعنا لك ذكرك قال يحيى
بن آدم بالنبوة وقيل إذا ذكرت ذكرت معي في قول لا إله إلا الله محمد
رسول الله وقيل في الأذان. قال الفقيه القاضي رحمه الله هذا تقرير من الله
لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته
عليه بأن شرح قلبه للإيمان والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع
عنه ثقل أمور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كان عليه بظهور
دينه على الدين كله. وحط عنه عهدة أعباء الرسالة والنبوة لتبليغه
للناس ما نزل إليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة ذكره وقرانه
اسمه مع اسمه قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس

ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول
الله. وروى أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أتاني جبريل فقال
إن ربي وربك يقول: تدري كيف رفعت ذكرك؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: إذا
ذكرت ذكرت معي. قال ابن عطاء: جعلت تمام الإيمان بذكرك معي. وقال
أيضا: جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني. وقال جعفر
بن محمد الصادق رضي الله عنه: لا يذكرك أحد بالرسالة إلا ذكرني بالربوبية.
وأشار بعضهم في ذلك إلى الشفاعة. ومن ذكره معه تعالى أن قرن طاعته
بطاعته واسمه باسمه فقال تعالى: وأطيعوا الله والرسول، وآمنوا بالله ورسوله،
فجمع بينهما بواو العطف المشركة، ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه عليه
السلام. قال الشيخ أبو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما أجازنيه
وقرأته على الثقة عنه قال: نا أبو عمر النمري قال: نا أبو محمد بن عبد المومن نا أبو
بكر بن داسة نا أبو داود السجستاني نا أبو الوليد الطيالسي نا شعبة عن منصور
عن عبد الله بن يسار عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال: لا يقولن أحدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان.
قال الخطابي رحمه الله: أرشدهم صلى الله عليه وسلم إلى الأدب في تقديم
مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه واختارها بثم التي هي للنسق
والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك. ومثله الحديث الآخر أن خطيبا
خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن
يعصهما، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: بئس خطيب القوم أنت، قم، أو قال
اذهب. قال أبو سليمان: كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية لما فيه من
التسوية. وذهب غيره إلى أنه إنما كره له الوقوف على يعصهما. وقول أبي
سليمان أصح لما روي في الحديث أنه قال: ومن يعصهما فقد غوى، ولم يذكر
الوقوف على يعصهما. وقد اختلف المفسرون وأصحاب المعاني في قوله تعالى

إن الله وملائكته يصلون على النبي. وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال
من فضيلتك عند الله أن جعل طاعتك طاعته فقال: من يطع الرسول فقد
أطاع الله. وقد قال تعالى: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية. وروي
أنه لما نزلت هذه الآية قالوا: إن محمدا يريد أن نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى
عيسى، فأنزل الله جل وعز: قل أطيعوا الله والرسول، فقرن طاعته بطاعته رغما لهم.
وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في أم القرآن: اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين أنعمت عليهم، فقال أبو العالية والحسن البصري: الصراط المستقيم
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار أهل بيته وأصحابه، حكاه عنهما أبو الحسن
الماوردي، وحكى مكي عنهما نحوه. وقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. وحكى أبو الليث السمرقندي مثله عن
أبي العالية في قوله جل وعز: صراط الذين أنعمت عليهم، قال: فبلغ ذلك الحسن
فقال: صدق والله ونصح. وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين أنعمت
عليهم عن عبد الرحمن بن زيد. وحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير
قوله تعالى: فقد استمسك بالعروة الوثقى أنه محمد عليه السلام، وقيل الإسلام،
وقيل شهادة التوحيد. وقال سهل في قوله تعالى: وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها
قال: نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم. وقال تعالى: والذي جاء بالصدق وصدق
به أولئك هم المتقون الآية. أكثر المفسرين على أن الذي جاء بالصدق هو
محمد صلى الله عليه وسلم، قال بعضهم: وهو الذي صدق به، وقرئ صدق. وقال غيرهم:
الذي صدق به المومنون، وقيل أبو بكر، وقيل علي، وقيل غير هذا من الأقوال.
وعن مجاهد في قوله تعالى: ألا بذكر الله تطمئن القلوب، قال: بمحمد صلى الله
عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم.

الفصل الثاني في وصفه له بالشهادة وما يتعلق بها من الثناء والكرامة

قال الله تعالى: يا أيها
النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية. جمع الله تعالى له في هذه

وقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الآيتين وعد

رحمة من الله لنت لهم الآية **قال السمرقندي** ذكر الله تعالى منته أنه جعل
رسوله رحيما بالمومنين رؤوفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول
لتفرقوا من حوله لكن جعله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله
الضحاك وقال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا **قال أبو الحسن القابسي**
أبان الله تعالى فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل أمته بهذه الآية
وفي قوله في الآية الأخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا
شهداء على الناس وكذلك قوله فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا
بك على هؤلاء شهيدا وقوله وسطا أي عدلا خيارا ومعنى هذه الآية
وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بأن جعلناكم
أمة خيارا عدولا لتشهدوا للأنبياء على أممهم ويشهد لكم الرسول
بالصدق قيل إن الله تعالى إذا سأل الأنبياء هل بلغتم فيقولون نعم
فتقول أممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد أمة محمد صلى الله عليه وسلم
للأنبياء ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الآية إنكم حجة
على من خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال تعالى
وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم **قال قتادة** والحسن وزيد
بن أسلم قدم صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن أيضا
هي مصيبتهم بنبيهم صلى الله عليه وسلم وعن أبي سعيد الخدري هي شفاعة
نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم **وقال**
سهل التستري هي سابقة رحمة أودعها في محمد صلى الله عليه وسلم **وقال**
محمد بن علي الترمذي هو إمام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع
والسائل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي **قال**

جعله شاهدا على أمته لنفسه بتبليغهم الرسالة وهي من خصائصه
عليه السلام ومبشرا لأهل طاعته ونذيرا لأهل معصيته وداعيا
إلى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق نا الشيخ أبو محمد بن
عتاب رحمه الله حدثنا حاتم أبو القاسم ابن محمد نا أبو الحسن القابسي نا أبو زيد
المروزي نا أبو عبد الله محمد بن يوسف البخاري نا محمد بن سنان نا فليح نا
هلال عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص أخبرني عن صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته
في القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين
أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق
ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به
الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويفتح به أعينا عميا
وآذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار
رضي الله عنهما وفي بعض طرقه عن ابن إسحاق ولا صخب في الأسواق
ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم
ثم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله
والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته
والهدى إمامه والإسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد
الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأسمي به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني
به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء
متشتتة وأمم متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس وفي حديث
آخر أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة عبدي أحمد
المختار مولده بمكة ومهاجره بطيبة أمته الحمادون لله على كل حال وقال

الثالث فيما ورد في خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة من ذلك قوله تعلى

عفى الله عنك لم اذنت لهم قال ابو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام
بمنزلة اصلحك الله واعزك الله. وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل
ان يخبره بالذنب. حكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم
القلب لم اذنت لهم قال ولو بدا النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم
لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله تبارك وتعالى برحمته
اخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك
الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا
يخفى على ذي لب ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب
قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية
وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله تعالى انه لو لم ياذن لهم لقعدوا
لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم قال الفقيه رضي الله عنه
يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه ان يتادب بادب
القران في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية
وروضة الاداب الدينية والدنيوية وليتامل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال
من رب الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثير ما فيها من الفوائد
وكيف ابتدا بالاكرام قبل العتب وانس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان
ثم ذنب. وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا
قال بعض المتكلمين عاتب الله الانبياء بعد الزلات وعاتب نبينا عليه السلام
قبل وقوعه ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه
غاية العناية ثم انظر كيف بدا بثباته وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف
ان يركن اليه ففي اثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تامينه وكرامته ومثله
قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك الاية قال

علي رضي الله عنه قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك
ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم
لا يكذبونك الاية وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه
جبريل عليه السلام فقال ما يحزنك فقال كذبني قومي فقال انهم يعلمون انك
صادق فانزل الله تعالى الاية ففي هذه الاية منزع لطيف الماخذ من تسليته تعالى
له عليه السلام والطافه به في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين
له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع
بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين
ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بايات الله يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم
بالمعاندة بتكذيب الايات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم
انكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه
وانسه بما ذكره عمن قبله ووعده النصر بقوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك الاية
فمن قرا لا يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي
لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرا بالتشديد
فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك. ومما ذكر
من خصائصه وبر الله تعالى به ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء باسمائهم فقال
يا ادم يا نوح يا ابراهيم يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو الا
يا ايها الرسول يا ايها النبي يا ايها المزمل يا ايها المدثر

الفصل الرابع

في قسمه تعلى بعظيم قدره. قال تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل
التفسير في هذا انه قسم من الله تعالى بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم واصله ضم العين
من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك
وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف. قال ابن
عباس ما خلق الله وما ذرا وما برا نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم

وما سمعت الله تعالى أقسم بحياة أحد غير محمد وقال ابن الجوزي ما أقسم الله بحياة أحد [illegible]

صلى الله عليه وسلم لأنه أكرم البرية عنده صلى الله عليه وسلم وقال تعالى يس
والقرآن الحكيم الآيات اختلف المفسرون في معنى يس على أقوال **فحكى**
أبو محمد مكي أنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لي عند ربي عشرة أسماء
ذكر أن منها طه ويس اسمان له : وحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن جعفر بن محمد
الصادق أنه أراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم **وعن ابن عباس** يس
يا إنسان أراد محمدا صلى الله عليه وسلم وقال هو قسم وهو من أسماء الله : وقال
الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا إنسان : وعن ابن الحنفية رضي
الله عنه يس يا محمد **وعن كعب** رضي الله عنه يس قسم أقسم الله به قبل أن يخلق
السماء والأرض بألفي عام يا محمد إنك لمن المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم إنك لمن
المرسلين فإن قدر أنه من أسمائه صلى الله عليه وسلم وصح فيه أنه قسم كان فيه
من التعظيم ما تقدم ويؤكد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه وإن كان بمعنى
النداء فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته أقسم الله تعالى
باسمه وكتابه أنه من المرسلين بوحيه إلى عباده وعلى صراط مستقيم من إيمانه
أي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله تعالى
لأحد من أنبيائه عليهم السلام بالرسالة في كتابه إلا له وفيه من تعظيمه عليه
السلام وتمجيده على تأويل من قال أنه يا سيد ما فيه وقد قال عليه السلام أنا سيد
ولد آدم ولا فخر : وقال تعالى لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد قيل لا أقسم
به إذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زائدة أي أقسم به وأنت
به يا محمد حلال أو حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد عند هؤلاء
مكة : وقال الواسطي أي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا
وببركتك ميتا يعني المدينة والأول أصح لأن السورة مكية وما بعده يصححه قوله
وأنت حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الأمين قال

قال ابنه الله لعظامه ونورها بدوا ن كونه أماما حيث كان : قبلها وكونه بعدها موجود مقدم

ثم قال تعالى ووالد وما ولد ومن قال أراد آدم فهو عام ومن قال هو إبراهيم وما ولده
فهي إن شاء الله إشارة إلى محمد صلى الله عليه وسلم فتتضمن السورة القسم به في
موضعين : وقال تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه **قال ابن عباس رضي الله عنه**
هذه الحروف أقسام أقسم الله تعالى بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك : وقال
سهل بن عبد الله التستري الألف هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد عليهما
السلام **وحكى** هذا القول السمرقندي ولم ينسبه إلى سهل وجعل معناه الله أنزل
جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن لا ريب فيه وعلى الوجه الأول يحتمل
القسم أن هذا الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلته قران اسمه باسمه نحو ما تقدم
وقال ابن عطاء في قوله تعالى ق والقرآن المجيد أقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله
عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل هو اسم
للقرآن وقيل اسم لله وقيل جبل محيط بالأرض وقيل غير هذا **وقال جعفر بن**
محمد رضي الله عنه في تفسير والنجم إذا هوى أنه محمد عليه السلام وقال والنجم قلب
محمد هوى انشرح من الأنوار وقال انقطع عن غير الله تعالى : وقال ابن عطاء في
قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لأن منه تفجر الإيمان

الفصل الخامس في قسمه تعالى جده له ليحقق مكانته عنده قال تعالى والضحى والليل إذا
سجى السورة : اختلف في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم
قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون
عند فترة الوحي فنزلت السورة **قال القاضي رضي الله عنه** تضمنت هذه السورة
من كرامة الله تعالى له وتنويهه به وتعظيمه إياه ستة وجوه : الأول القسم له
عما أخبره به من حاله بقوله تعالى والضحى والليل إذا سجى أي ورب الضحى
وهذا من أعظم درجات المبرة : الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه
بقوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى أي ما تركك وما أبغضك : وقيل ما أهملك

بعد ان اصطفاك الثالث قوله وللآخرة خير لك من الأولى قال ابن اسحق اي
ما لك في مرجعك عند الله أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا. وقال سهل أي
ما ادخرت لك من الشفاعة غدا والمقام المحمود خير لك مما أعطيتك في الدنيا.
الرابع قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة
وأنواع السعادة وشتات الإنعام في الدارين والزيادة. قال ابن إسحق
يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في الآخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة
وروي عن بعض آل النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس آية في القرآن أرجى
منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل أحد من أمته النار. الخامس
ما عدده عليه تعالى من نعمه وقرره من آلائه في بقية السورة من هدايته إلى ما هداه
له أو هدايته الناس به على اختلاف التفاسير ولا مال له فأغناه بما آتاه أو بما جعله
في قلبه من القناعة والغنى ويتيما فحدب عليه عمه وآواه إليه وقيل آواه
إلى الله وقيل يتيما لا مثال لك فآواك إليه وقيل المعنى ألم يجدك فهدى بك ضالا
وأغنى بك عائلا وآوى بك يتيما ذكره بهذه المنن وأنه على المعلوم من التفسير
لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف
بعد اختصاصه واصطفائه. السادس أمره تعالى بإظهار نعمته عليه
وشكر ما شرفه به بنشره وإشادة ذكره بقوله وأما بنعمة ربك فحدث فإن من شكر
النعمة الحديث بها وهذا خاص له عام لأمته. وقال تعالى والنجم إذا هوى
إلى قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى اختلف المفسرون في قوله تعالى والنجم
بأقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القرآن وعن جعفر بن محمد أنه محمد
صلى الله عليه وسلم وقال هو قلب محمد وقد قيل في قوله تعالى والسماء والطارق
وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب أن النجم هنا أيضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه
السلمي تضمنت هذه الآية من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد وأقسم جل
اسمه على هداية المصطفى صلى الله عليه وسلم وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلا وأنه وحي

يوحى أوصله إليه صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى جبريل عليه السلام وهو الشديد
القوى ثم أخبر تعالى عن فضيلته بقصة الإسراء وانتهائه إلى سدرة المنتهى وتصديق
بصره فيما رأى من آيات ربه الكبرى وقد نبه على مثل هذا تعالى في أول سورة الإسراء
ولما كان ما كاشفه عليه السلام من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت
لا تحيط به العبارات ولا تستقل بحمل سماع أدناه العقول رمز عنه تعالى بالإيماء
والكناية الدالة على التعظيم فقال تعالى فأوحى إلى عبده ما أوحى وهذا النوع
من الكلام يسميه أهل النقد والبلاغة بالوحي والإشارة وهو عندهم أبلغ
أبواب الإيجاز وقال تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى انحسرت الأفهام عن تفصيل
ما أوحى وتاهت الأحلام في تعيين تلك الآيات الكبرى. قال القاضي
أبو الفضل رحمه الله اشتملت هذه الآيات على إعلام الله تعالى بتزكية جملته عليه
السلام وعصمتها من الآفات في هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه فزكى
قلبه بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره
بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى وقال تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس
إلى قوله تعالى وما هو بقول شيطان رجيم لا أقسم أي أقسم إنه لقول رسول كريم أي كريم
عند مرسله ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي مكين أي متمكن المنزلة من ربه
رفيع المحل عنده مطاع ثم أي في السماء أمين على الوحي. قال علي بن عيسى
وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الأوصاف بعد على هذا
له صلى الله عليه وسلم وقال غيره هو جبريل فترجع الأوصاف إليه ولقد رآه يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم قيل رأى ربه وقيل رأى جبريل في صورته وما هو على الغيب
بضنين ومن قرأ بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء به والتذكير بحكمه وبعلمه أي بمتهم
وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق. وقال تعالى ن والقلم الآيات أقسم الله تعالى
بما أقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى صلى الله عليه وسلم مما غمصته الكفرة به
وتكذيبهم له وآنسه وبسط أمله بقوله محسنا خطابه ما أنت بنعمة ربك بمجنون وهذه

نهاية المبرة في المخاطبة وأعلى درجات الآداب في المحاورة ثم أعلمه تعلى بما له عنده من
من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا يأخذه عد ولا يمتن به عليه فقال وإن لك لأجرا
غير ممنون ثم أثنى عليه بما منحه من هباته وهداه إليه وأكد ذلك تتميما للتمجيد
بحرفي التأكيد فقال وإنك لعلى خلق عظيم قيل القرآن وقيل الإسلام وقيل الطبع
الكريم وقيل ليس لك همة إلا الله قال الواسطي أثنى عليه بحسن قبوله لما
أسداه إليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لأنه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف
الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسر للخير وهدى إليه ثم أثنى على فاعله وجازاه
عليه سبحانه ما أغمر نواله وأوسع إفضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به
من عقابهم وتوعدهم بقوله تعلى فستبصر ويبصرون الثلاث الآيات ثم عطف بعد
مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا
لنبيه فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله تعلى ولا تطع كل حلاف مهين
إلى قوله أساطير الأولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره
بقوله تعلى سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله تعلى له أتم من نصرته لنفسه
ورده تعلى على عدوه أبلغ من رده وأثبت في ديوان مجده

الفصل السادس فيما ورد من قوله تعلى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والإكرام قال الله
تعلى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من أسمائه عليه السلام
وقيل اسم لله وقيل معناه يا رجل وقيل يا إنسان وقيل هي حروف مقطعة لمعان
قال الواسطي أراد يا طاهر يا هادي وقيل هو أمر من الوطء والهاء
كناية عن الأرض أي اعتمد على الأرض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على
قدم واحدة وهو قوله تعلى ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت الآية فيما كان النبي
صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل أنا القاضي أبو عبد الله
محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي أبي الوليد الباجي إجازة ومن أصله نقلت
قال نا أبو ذر الحافظ قال حدثنا أبو محمد الحموي نا إبراهيم بن خزيم الشاشي

وقف لله تعلى بالجامع الأزهر

[illegible] إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى فأنزل الله تعلى طه يعني
طإ الأرض يا محمد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله من الإكرام
وحسن المعاملة وإن جعلنا طه من أسمائه عليه السلام كما قيل وجعلت قسما لحق
الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعلى فلعلك باخع نفسك
على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا أي قاتل نفسك لذلك غضبا أو غيظا
أو جزعا ومثله قوله تعلى أيضا لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ثم قال تعلى
إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب
قوله تعلى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إلى قوله ولقد نعلم أنك يضيق
صدرك بما يقولون إلى آخر السورة وقوله تعلى ولقد استهزئ برسل من قبلك
الآية قال مكي سلاه الله تعلى بما ذكر وهون عليه ما يلقى من المشركين
وأعلمه أن من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله
تعلى وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله تعلى كذلك ما
أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون عزاه الله تعلى بما أخبر به عن
الأمم السالفة ومقالها لأنبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن
محنته بمثله من كفار مكة وأنه ليس أول من لقي ذلك ثم طيب نفسه وأبان
عذره بقوله فتول عنهم أي أعرض عنهم فما أنت بملوم أي في أداء ما بلغت وإبلاغ
ما حملت ومثله قوله تعلى واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا أي اصبر على أذاهم
فإنك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله تعلى بهذا في آي كثيرة من هذا المعنى

الفصل السابع فيما أخبر الله به في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف
منزلته على الأنبياء وحظوة رتبته قوله تعلى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين
لما آتيتكم من كتاب وحكمة إلى قوله من الشاهدين قال أبو الحسن
القابسي استخص الله تعلى محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره [illegible]

فلم يبعث نبيا إلا ذكر له محمدا صلى الله عليه وسلم ونعته وأخذ عليه ميثاقه إن
أدركه ليؤمنن به وقيل أن يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم
وقوله ثم جاءكم الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم
قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا من آدم عليه السلام
فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ
العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدي وقتادة في آي تضمنت فضله من
غير وجه واحد قال الله تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية
وقال إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح إلى قوله تكليما روي عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه أنه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم
فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن بعثك آخر
الأنبياء وذكرك في أولهم فقال وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
الآية بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون
أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله
وأطعنا الرسولا قال قتادة إن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت أول الأنبياء
في الخلق وآخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره عليهم
السلام قال السمرقندي في هذا تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم لتخصيصه
بالذكر قبلهم وهو آخرهم المعنى أخذ الله عليهم الميثاق إذ أخرجهم من ظهر آدم
كالذر وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله الآية
قال أهل التفسير أراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا عليه السلام لأنه
بعث إلى الأحمر والأسود وأحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس
أحد من الأنبياء أعطي فضيلة أو كرامة إلا وقد أعطي محمد صلى الله عليه وسلم
مثلها قال بعضهم ومن فضله أن الله تعالى خاطب الأنبياء بأسمائهم فقال

وقال يا آدم يا نوح يا هود يا صالح يا إبراهيم يا داود يا عيسى يا زكريا
يا يحيى وخاطبه صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة في كتابه فقال تعالى
يا أيها الرسول ويا أيها النبي ويا أيها المزمل ويا أيها المدثر وحكى السمرقندي عن
الكلبي في قوله تعالى وإن من شيعته لإبراهيم أن الهاء عائدة على محمد صلى الله عليه وسلم
أي من شيعة محمد صلى الله عليه وسلم لإبراهيم أي على دينه ومنهاجه وأجازه الفراء وحكاه
عنه مكي وقيل المراد نوح عليه السلام

الفصل الثامن في إعلام الله تعالى

خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه قال الله تعالى وما كان الله
ليعذبهم وأنت فيهم أي ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة
وبقي فيها من بقي من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل
قوله لو تزيلوا الآية وقوله ولولا رجال مؤمنون الآية فلما هاجر المؤمنون نزلت وما
لهم ألا يعذبهم الله وهذا من أبين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرئه العذاب
عن أهل مكة بسبب كونه ثم كون أصحابه بعده بين أظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم
بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم إياهم وحكم فيهم سيوفهم وأورثهم أرضهم وديارهم
وأموالهم وفي الآية أيضا تأويل آخر نا القاضي الشهيد أبو علي بقراءتي عليه قال
نا أبو الفضل بن خيرون وأبو الحسين الصيرفي قالا نا أبو يعلى بن زوج الحرة نا أبو علي السنجي
نا أحمد بن محبوب المروزي نا أبو عيسى الحافظ نا سفيان بن وكيع نا ابن نمير
عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن أبي بردة بن أبي موسى
عن أبيه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الله تعالى علي أمانين
لأمتي وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فإذا
مضيت تركت فيهم الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
قال صلى الله عليه وسلم أنا أمان لأصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال بعضهم
الرسول هو الأمان الأعظم ما عاش وما دامت سنته باقية فهو باق فإذا أميتت سنته
فانتظر البلاء والفتن وقال الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية

أبان الله تعالى فضل نبيه عليه السلام بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته وأمر عباده
بالصلاة والتسليم عليه وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض العلماء تأول قوله
عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة على هذا أي في صلاة الله علي وملائكته
وأمره الأمة بذلك إلى يوم القيامة والصلاة من الملائكة ومنا له دعاء ومن الله رحمة
وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلاة عليه بين لفظ
الصلاة والبركة وسنذكر حكم الصلاة عليه إن شاء الله تعالى وذكر بعض
المتكلمين في تفسير حروف كهيعص أن الكاف من كاف أي كفاية الله
لنبيه صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى أليس الله بكاف عبده والهاء هدايته له
قال تعالى ويهديك صراطا مستقيما والياء تأييده له قال تعالى وأيدك بنصره
والعين عصمته له قال تعالى والله يعصمك من الناس والصاد صلاته عليه قال
تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبيء وقال تعالى وإن تظاهرا عليه فإن الله هو
مولاه وجبريل الآية مولاه أي وليه وصالح المومنين قيل الأنبياء وقيل الملائكة
عليهم السلام وقيل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وقيل علي رضي الله عنه
وقيل المومنون على ظاهره ::

الفصل التاسع

فيما تضمنته سورة صلى الله عليه وسلم قال تعالى إنا فتحنا لك فتحا
مبينا إلى قوله يد الله فوق أيديهم تضمنت هذه الآيات من فضله والثناء
عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن
الانتهاء إليه فابتدأ جل جلاله بإعلامه بما قضاه له من القضاء البين
بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وأنه غير مؤاخذ
مغفور له بما كان وما يكون قال بعضهم أراد غفران ما وقع وما لم
يقع أي إنك مغفور لك وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل من
عنده لا إله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك
قيل بخضوع من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل يرفع

ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك فأعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري
عدوه له وفتح أهم البلاد عليه وأحبها له ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم
المبلغ إلى الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته على أمته المومنين بالسكينة
والطمأنينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم
والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا والآخرة ولعنهم وبعدهم
من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية فعد
محاسنه وخصائصه من شهادته على أمته لنفسه بتبليغ الرسالة لهم وقيل
شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لأمته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب
وقيل محذرا من الضلالة ليومن بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى ويعزروه أي يجلوه
وقيل ينصرونه وقيل يبالغون في تعظيمه ويوقروه أي يعظموه وقرأه بعضهم ويعززوه
بزايين من العز والأكثر والأظهر أن هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال ويسبحوه
فهذا راجع إلى الله تعالى قال ابن عطاء جمع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نعم
مختلفة من الفتح المبين وهو من أعلام الإجابة والمغفرة وهي من أعلام المحبة وتمام النعمة
وهي من أعلام الاختصاص والهداية وهي من أعلام الولاية فالمغفرة تبرئة من العيوب
وتمام النعمة إبلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة إلى المشاهدة وقال جعفر بن
محمد من تمام نعمته عليه أن جعله حبيبه وأقسم بحياته ونسخ به شرائع غيره وعرج به إلى المحل
الأعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه إلى الأسود والأحمر
وأحل له ولأمته الغنائم وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد آدم وقرن ذكره بذكره
ورضاه برضاه وجعله أحد ركني التوحيد ثم قال إن الذين يبايعونك إنما يبايعون
الله يعني بيعة الرضوان أي إنما يبايعون الله ببيعتهم إياك يد الله فوق أيديهم
يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده وهذه استعارة
وتجنيس من الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم إياه وعظم شأن المبايع صلى الله عليه وسلم
وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت

بتبليغه

ولكن الله رمى وإن كان الأول في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة لأن القاتل والرامي بالحقيقة
هو الله تعالى وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه ولأنه ليس في قدرة البشر
توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه وكذلك قتل
الملائكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الآية الأخرى إنها على المجاز العربي ومقابلة
اللفظ ومناسبته أي ما قتلتموهم وما رميتهم أنت إذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب
ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع أي إن منفعة الرمي كانت من فعل الله فهو القاتل والرامي
بالمعنى وأنت بالاسم **الفصل الثامن فيما أظهره في كتابه العزيز**
من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل
فمن ذلك ما نصه تعالى من قصة الإسراء في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة
من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجائب ومن ذلك عصمته من الناس
بقوله تعالى والله يعصمك من الناس وقوله وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية وقوله إلا
تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله به عنه في هذه القصة من أذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصهم
نجيا في أمره والأخذ على أبصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار
وما ظهر في ذلك من الآيات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك حسبما ذكره
أهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر
فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر أعلمه الله بما أعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر
في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل
المعرفة ثم أجاب عنه عدوه ورد عليه قوله تعالى إن شانئك هو الأبتر أي عدوك
ومبغضك والأبتر الحقير الذليل والمفرد الوحيد أو الذي لا خير فيه وقال ولقد آتيناك
سبعا من المثاني والقرآن العظيم قيل السبع المثاني السور الطوال الأول والقرآن العظيم
أم القرآن وقيل السبع المثاني أم القرآن والقرآن العظيم سائره وقيل السبع المثاني ما في
القرآن من أمر ونهي وبشرى وإنذار وضرب مثل وإعداد نعم وآتيناك نبأ القرآن
العظيم وقيل سميت أم القرآن مثاني لأنها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله استثناها

... وذخرها له دون الأنبياء وسمى القرآن مثاني لأن القصص ثنيت
فيه وقيل السبع المثاني أكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة
والولاية والتعظيم والسكينة وقال وأنزلنا إليك الذكر الآية وقال وما أرسلناك إلا
كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الآية
قال الفقيه القاضي رضي الله عنه فهذه من خصائصه وقال تعالى وما أرسلنا من
رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم
إلى الخلق كافة كما قال عليه السلام بعثت إلى الأحمر والأسود وقال تعالى النبي
أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم قال أهل التفسير أولى بالمؤمنين من أنفسهم
أي ما أنفذه فيهم من أمر فهو ماض عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده وقيل
اتباع أمره أولى من اتباع رأي النفس وأزواجه أمهاتهم أي هن في الحرمة كالأمهات
حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولأنهن له أزواج في الآخرة
وقد قرئ وهو أب لهم ولا يقرأ به الآن لمخالفته المصحف وقال تعالى وأنزل الله
عليك الكتاب والحكمة الآية قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل بما سبق
له في الأزل وأشار الواسطي إلى أنها إشارة إلى احتمال الرؤية التي لم يحتملها
موسى عليه السلام وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية قال أهل
التفسير أراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا عليه السلام لأنه بعث إلى الأحمر
والأسود وأحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس أحد من الأنبياء أعطي
فضيلة أو كرامة إلا وقد أعطي محمد مثلها قال بعضهم ومن فضله أن الله تعالى خاطب
الأنبياء بأسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه فقال يا أيها النبي ويا أيها
الرسول وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وإن من شيعته لإبراهيم
أن الهاء عائدة على محمد أي إن من شيعة محمد لإبراهيم أي على دينه ومنهاجه
وأجازه الفراء وحكاه عنه مكي وقيل المراد نوح عليه السلام

الباب الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا

[illegible]
صلى الله عليه وسلم. اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم
الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم أن خصال الجلال والكمال في البشر
نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا ومكتسب
ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب إلى الله زلفى ثم هي على فنين أيضا منها
ما يتخلص لأحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل فأما الضروري
المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته
من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة
لسانه وقوة حواسه وأعضائه واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة
قومه وكرم أرضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته إليه من غذائه
ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه
الخصال الآخرة بالأخروية إذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك
طريقها وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة وأما المكتسبة
الأخروية فسائر الأخلاق العلية والآداب الشرعية من الدين والعلم والحلم
والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة
والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار
والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة وأخواتها وهي التي جماعها حسن
الخلق وقد يكون من هذه الأخلاق ما هو في الغريزة وأصل الجبلة لبعض
الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه
لا بد أن تكون فيه من أصولها في أصل الجبلة شعبة كما
سنبينه إن شاء الله وتكون هذه الأخلاق دنيوية إذا لم
يرد بها وجه الله والدار الآخرة ولكنها كلها محاسن
وفضائل باتفاق أصحاب العقول السليمة وإن اختلفوا في موجب حسنها

وتفضيلها.

فصل

إذا كانت خصال الكمال
والجلال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يتشرف بواحدة منها أو اثنتين
إن اتفقت له في كل عصر إما من نسب أو جمال أو قوة أو علم أو حلم
أو شجاعة أو سماحة حتى يعظم قدره ويضرب باسمه الأمثال
ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب أثرة وعظمة وهو منذ عصور رمم
بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلى ما لا
يأخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص
الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء
والإسراء والرؤية والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة
والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث
إلى الأحمر والأسود والصلاة بالأنبياء والشهادة بين الأنبياء والأمم
وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي
العرش والطاعة ثم والأمانة والهداية ورحمة للعالمين وإعطاء الرضا
والسؤل والكوثر وسماع القول وإتمام النعمة والعفو عما تقدم
وتأخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر
ونزول السكينة والتأييد بالملائكة وإيتاء الكتاب والحكمة والسبع
المثاني والقرآن العظيم وتزكية الأمة والدعاء إلى الله وصلاة الله
والملائكة والحكم بين الناس بما أراه الله ووضع الإصر والأغلال
عنهم والقسم باسمه وإجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم وإحياء
الموتى وإسماع الصم ونبع الماء من بين أصابعه وتكثير القليل وانشقاق
القمر ورد الشمس وقلب الأعيان والنصر بالرعب والاطلاع على
الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصى وإبراء الآلام والعصمة من الناس
إلى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه إلا مانحه ذلك
ومفضله به لا إله غيره

[illegible] والبراهة [illegible]
وقرائن السعادة والحسنى والزيادة، إلى ذوي الهمم وذوي العقول
وجمال وزادها انوارهم فصل إذا قلنا أكرمك الله لا خفاء على
القطع بالجملة أنه صلى الله عليه وسلم أعلى الناس قدرا وأعظمهم
محلا وأكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال
مذهبا جميلا شوقني إلى أن أقف عليها من أوصافه صلى الله عليه وسلم
تفصيلا فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم
حبي وحبك أنك إذا نظرت إلى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة
وفي جبلة الخلقة وجدته عليه السلام حائزا لجميعها محيطا بشتات
محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ
القطع أما الصورة وجمالها وتناسب أعضائه في حسنها فقد
جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي
وأنس بن مالك وأبي هريرة والبراء بن عازب وعائشة أم المؤمنين وعن
ابي هالة وأبي جحيفة وجابر بن سمرة وأم معبد وابن عباس ومعرض
ابن معيقيب وأبي الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام
وغيرهم من أنه صلى الله عليه وسلم كان أزهر اللون أدعج أنجل أشكل أهدب
الأشفار أبلج أزج أقنى أفلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية
تملأ صدره سواء البطن والصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل
العضدين والذراعين والأسافل رحب الكفين والقدمين سائل الأطراف
أنور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا القصير
المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله
صلى الله عليه وسلم رجل الشعر إذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق
وعن مثل حب الغمام إذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه أحسن الناس

عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء ما
رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
أبو هريرة ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس
تجري في وجهه وإذا ضحك يتلألأ في الجدر وقال جابر بن سمرة وقال
له رجل كان وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف قال لا بل مثل الشمس
والقمر وكان مستديرا وقالت أم معبد في بعض ما وصفته به أجمل
الناس من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب وفي حديث ابن أبي هالة
يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله عنه في
صفته صلى الله عليه وسلم كأن ماء الذهب يجري في صفحة خده ورونق الجمال
يجري في أسرة حسنه وجبينه وقال في آخر وصفه له من رآه بديهة هابه
ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله والأحاديث
في بسط صفته عليه السلام مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها وقد
اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية في القصد
إلى المطلوب إن شاء الله تعالى وقد ختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك
تقف عليه هنالك إن شاء الله تعالى فصل وأما نظافة جسمه وطيب
ريحه وعرقه ونزاهته عن الأقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله
في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال
الفطرة العشر وقال بني الإسلام على النظافة حدثنا أبو محمد سفيان
بن العاصي وغير واحد قالوا حدثنا أحمد بن عمر ثنا أبو العباس الرازي
ثنا أبو أحمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا قتيبة ثنا جعفر بن سليمان عن
ثابت عن أنس قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا أطيب من ريح
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه أنه صلى
الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كأنما أخرجها من

من دونه عطر قد اعليه ... كطيب أو لم يشبهه ... في المصافحة فيظل يومه
يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف بين الصبيان بريحها ونام
رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار أنس رضي الله عنه فجاءت أمه بقارورة
تجمع فيها عرقه فسألها صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا
وهو من أطيب الطيب وذكر البخاري رحمه الله في تاريخه الكبير
عن جابر رضي الله عنه لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق
فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبه صلى الله عليه وسلم وذكر إسحاق
بن راهويه أن تلك كانت رائحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم وروى المزني عن
جابر رضي الله عنه أردفني النبي صلى الله عليه وسلم فالتقمت خاتم النبوة
بفمي فكان ينم علي مسكا وقد حكى بعض المعتنين بأخباره وشمائله
صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أراد أن يتغوط انشقت له الأرض فابتلعت
غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى الله عليه وسلم وأسند
محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عائشة رضي الله عنها أنها
قالت للنبي صلى الله عليه وسلم إنك تأتي الخلاء فلا نرى منك شيئا من
الأذى فقال يا عائشة أو ما علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء
فلا يرى منه شيء وهذا الخبر وإن لم يكن مشهورا فقد قال قوم من أهل
العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض أصحاب
الشافعي حكاه الإمام أبو نصر بن الصباغ في شامله وقد حكى القولين
عن أبو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج
ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا أنه لم
يكن منه صلى الله عليه وسلم شيء يكره ولا غير طيب ومنه حديث علي
عليه السلام غسلت النبي عليه السلام فذهبت أنظر ما يكون من
الميت فلم أجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا قال وسطعت منه ريح

طيبة لم يجدوا مثلها قط ومثله قول أبي بكر رضي الله عنه حين
قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان
دمه يوم أحد ومصه إياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك له
وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله بن الزبير رضي الله
عنه دم حجامته فقال له عليه السلام ويل لك من الناس وويل للناس
منك ولم ينكر عليه وقد روي نحو من هذا عنه عليه السلام في
امرأة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك أبدا ولم يأمر
واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده وحديث هذه المرأة التي
شربت بوله عليه السلام صحيح ألزم الدارقطني والبخاري إخراجه في
الصحيح واسم هذه المرأة رضي الله عنها بركة واختلف في نسبها وقيل
هي أم أيمن وكانت تخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول
فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسأل بركة عنه
فقالت قمت وأنا عطشانة فشربته وأنا لا أعلم وروى حديثها
ابن جريج وغيره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولد مختونا
مقطوع السرة وروي عن أمه آمنة أنها قالت ولدته نظيفا ما به
قذر وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم قط وعن علي أوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا
يغسله أحد غيري فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه وفي
حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم
نام حتى سمع غطيطه فقام يصلي ولم يتوضأ قال عكرمة لأنه كان
محفوظا **فصل** وأما وفور عقله وذكائه وقوة حواسه وفصاحة
لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية أنه عليه السلام

... بواطن الخلق وظواهرهم
وسياسته العامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما
أفاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت
ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لأول بديهة
صلى الله عليه وسلم وهذا مما لا يحتاج إلى تقريره لتحققه وقد قال وهب
بن منبه رحمه الله قرأت في أحد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها
أن النبي صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا وفي
رواية أخرى فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من
بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم إلا
كحبة رمل من بين رمال الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه
فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين وفي الموطأ عنه عليه السلام
إني لأراكم من وراء ظهري ونحوه عن أنس رضي الله عنه في الصحيحين
وعن عائشة رضي الله عنها مثله قالت زيادة زادها الله إياه في
حجته وفي بعض الروايات إني لأنظر من ورائي كما أنظر من بين يدي
وفي أخرى إني لأبصر من قفاي كما أبصر من بين يدي وحكى بقي
بن مخلد عن عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم
يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والأخبار صحيحة كثيرة في رؤيته
صلى الله عليه وسلم للملائكة والشياطين ورفع النجاشي له حتى صلى
عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش والكعبة حين بنا مسجده وقد
حكي عنه عليه السلام أنه كان يرى في الثريا أحد عشر نجما وهذه
كلها محمولة على رؤية العين وهو قول أحمد بن حنبل وغيره وذهب
بعضهم إلى ردها إلى العلم والظواهر تخالفه ولا إحالة في ذلك

وهي من خواص الأنبياء كما حدثنا أبو محمد عبد الله وسلم سلمنا لما أخبرنا
أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل في كتابه نا أبو الحسن المقرئ الفرغاني
نا أم القاسم بنت أبي بكر عن أبيها نا الشريف أبو الحسن علي بن محمد الحسني
نا محمد بن محمد بن سعيد نا محمد بن أحمد بن سليمان نا محمد بن محمد بن مرزوق نا همام نا
الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان يبصر
النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد
على هذا أن يختص نبينا عليه السلام بما ذكرناه من هذا الباب بعد الإسراء
والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى وقد جاءت الأخبار بأنه صرع
ركانة أشد أهل وقته وكان دعاه إلى الإسلام وصارع أبا ركانة في
الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو هريرة ما رأيت أحدا أسرع من رسول
الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كأنما الأرض تطوى له إنا لنجهد أنفسنا
وهو غير مكترث وفي صفته أن ضحكه كان تبسما إذا التفت التفت
معا وإذا مشى مشى تقلعا كأنما ينحط من صبب **فصل** وأما فصاحة
لسانه وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل
الأفضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وإيجاز
مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف أوتي
جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب فكان يخاطب كل
أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان
كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله
من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والأنصار
وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المعشار الهمداني وطهفة النهدي

من جارته القليب والاسعر بن قيس ووايل بن حجر الكندي وغيرهم من اقيال
حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها
وعزازها تاكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا
بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض
والداجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله
لهند اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في
الدثر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من اقام الصلاة كان مسلما
ومن اتى الزكاة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم
يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكاة ولا تلحد
في الحياة ولا تتثاقل عن الصلوات وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم
الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا
يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الإماق وتاكلوا الرباق
من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة وفي كتابه عليه
السلام لوايل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب وفيه
في التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي
السيوب الخمس ومن زنى من بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما
ومن زنى من ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة
في فرائض الله وكل مسكر حرام ووايل بن حجر يترفل على الاقيال اين هذا
من كتابه عليه السلام في الصدقة المشهورة لما كان كلام هؤلاء على
هذا الحد وبلاغتهم هذا النمط واكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها
معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله في
حديث عطية السعدي فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي
المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله

في حديث العامري حين ساله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك اي سل
عما شئت وهي لغة بني عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة
وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد الف الناس فيها الدواوين وجمعت
في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى
بلاغة كقوله المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم
يد على من سواهم وقوله الناس كأسنان المشط والمرء مع من احب ولا
خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف
قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال
خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك
مرتين وان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيامة احاسنكم اخلاقا
الموطؤون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا
يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها
ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق
الامهات ووأد البنات وقوله اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة
الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وقوله احبب حبيبك هونا
ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله عليه السلام الظلم
ظلمات يوم القيامة وقوله في بعض دعائه اللهم اني اسألك رحمة من عندك
تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي
وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها
الفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني اسألك الفوز
في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى
ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وادعيته
ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه نزل من مرقاة لا يقاس

[illegible] وقد جمعت من كلماته التي
لم يسبق إليها ولا قدر أحد أن يفرغ في قالبه عليها كقوله عليه السلام
حمي الوطيس ومات حتف أنفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين والسعيد
من وعظ بغيره في أخواتها مما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب
به الفكر في أداني حكمها وقد قال له أصحابه رضوان الله عليهم ما
رأينا الذي هو أفصح منك فقال وما يمنعني وإنما أنزل القرآن بلساني
لسان عربي مبين وقال عليه السلام مرة أخرى بيد أني من قريش ونشأت
في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية
وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها إلى التأييد الإلهي
الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري وقالت أم معبد في
وصفها له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات
نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة صلوات الله عليه **فصل**
قال القاضي رحمه الله وأما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه فمما لا
يحتاج إلى إقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي عنه فإنه نخبة
بني هاشم وسلالة قريش وصميمها وأشرف العرب وأعزهم نفرا من قبل أبيه
وأمه ومن أهل مكة أكرم بلاد الله على الله تعالى وعلى عباده حدثنا
قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه الله تعالى نا القاضي أبو الوليد
سليمان بن خلف نا أبو ذر عبد بن أحمد نا أبو محمد السرخسي وأبو
إسحاق وأبو الهيثم نا محمد بن إسماعيل نا قتيبة بن سعيد المقبري عن أبي
هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم
قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وعن العباس رضي
الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله خلق الخلق فجعلني من
خيرهم من خير فرقهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيو

[illegible] وعن واثلة بن الأسقع
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل
واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا
واصطفى من قريش بني هاشم واصطفى من بني هاشم قال الترمذي هذا
حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر رضي الله عنه رواه الطبري أنه صلى
الله عليه وسلم إن الله اختار بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب
فاختار بني هاشم ثم اختارني من بني هاشم فاختارني فلم أزل خيارا من خيار
ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم
وعن ابن عباس رضي الله عنه أن قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى
قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه
فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح في السفينة
وقذف بي في صلب إبراهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الأصلاب الكريمة
والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط
ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس رضي الله عنه في مدح النبي صلى الله
عليه وسلم المشهور **فصل** وأما ما تدعو ضرورة الحياة إليه مما فصلناه
فعلى ثلاثة أضرب ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب تختلف
الأحوال فيه فأما ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال
عادة وشريعة كالغذاء والنوم ولم تزل العرب تتمادح بقلتهما وتذم
بكثرتهما لأن كثرة الأكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة
الشهوة مسبب لمضار الدنيا والآخرة جالب لأدواء الجسد وخثارة
النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة
مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما أن كثرة النوم دليل

وقف لله تعالى بالجامع الأزهر

[illegible]

العجز وتضييع العمر بغير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد
على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من كلام الأمم
المتقدمة والحكماء السالفين وأشعار العرب وأخبارها وصحيح الحديث
وآثار من سلف وخلف مما لا يحتاج إلى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا
على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذ منها في ثلث
القسم الأول هذا مما لا بد منه من سيرته وهو الذي أمر به وحض عليه
لا سيما بارتباط أحدهما بالآخر حدثنا أبو علي الصدفي الحافظ
بقراءتي عليه نا أبو الفضل الأصبهاني نا أبو نعيم الحافظ نا يحيى
بن أحمد نا بكر بن سهل نا عبد الله بن صالح حدثنا معاوية بن صالح أن يحيى
ابن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب المسلم أكلات يقمن
صلبه فإن كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه
ولأن كثرة النوم من كثرة الأكل والشرب قال سفيان الثوري
بقلة الأكل يملك سهر الليل وقال بعض السلف لا تأكلوا كثيرا فتشربوا
كثيرا فترقدوا كثيرا وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان
أحب الطعام إليه ما كان على ضفف أي كثرة الأيدي عليه وعن
عائشة رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط
وأنه كان في أهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه إن أطعموه أكل وما
أطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا بحديث بريرة وقوله
صلى الله عليه وسلم ألم أر البرمة فيها لحم إذ لعل سبب سؤاله عنه صلى الله
عليه وسلم أنه ظن أنه لا يحل له فأراد بيان سنته إذ رآهم لا يقدمونه إليه
مع علمهم أنه لا يستأثر [illegible] عليه [illegible] وبين لهم ما جهلوه

وقف لله سبحانه وتعالى

من أمره بقوله عليه السلام [illegible] وقد جاء في حكمة لقمان
يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء
عن العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع وفي
صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم أما أنا فلا آكل متكئا والاتكاء
هو التمكن للأكل والتقعدد في الجلوس له كالتربع وشبهه من تمكن
الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الصفة
يستدعي الأكل ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم إنما كان
جلوسه للأكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل
العبد وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك
نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك الآثار الصحيحة ومع ذلك
فقد قال عليه السلام إن عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه صلى الله عليه
وسلم على جانبه الأيمن استظهارا على قلة النوم لأنه على الجانب الأيسر
أهنأ لهدوء القلب وما يتعلق به من الأعضاء الباطنة حينئذ لميلها إلى
الجانب الأيسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول وإذا نام النائم
على الأيمن تعلق القلب وقلق فأسرع الإفاقة فصل والضرب
الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح أما النكاح
فمتفق فيه شرعا وعادة بأنه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل
التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية وأما
في الشرع فسنة مأثورة وقد قال ابن عباس أفضل هذه الأمة أكثرها
نساء إشارة إليه صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام تناكحوا فإني
مباه بكم الأمم ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر
اللتين نبه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله من كان ذا طول فليتزوج فإنه
أغض للبصر وأحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد

قال سهل بن عبد الله قد حبّبن إلى سيد المرسلين فكيف نزهد فيهن
ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة رضوان الله عليهم كثيري
الزوجات كثيري السراري كثيري النكاح وحكي في ذلك عن علي
والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء وقد كره غير واحد أن يلقى الله
عازبا فإن قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى
بن زكرياء قد أثنى الله عليه أنه كان حصورا فكيف يثني الله عليه بالعجز
عما يعدّ فضيلة وهذا عيسى تبتل من النساء ولو كان كما قررته
لنكح فاعلم أن ثناء الله على يحيى بأنه حصور ليس كما قال بعضهم إنه
كان هيوبا أو لا ذكر له بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء
وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالأنبياء عليهم السلام وإنما معناه
أنه معصوم من الذنوب أي لا يأتيها كأنه حصر عنها وقيل مانعا نفسه
من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا أن
عدم القدرة على النكاح نقص وإنما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها
إما بمجاهدة كعيسى عليه السلام أو بكفاية من الله كيحيى عليه
السلام فضيلة زائدة لكونها مشغلة في كثير من الأوقات حاطة إلى الدنيا
ثم هي في حق من أقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله
عن ربه درجة علياء وهي درجة نبينا عليه السلام الذي لم تشغله
كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن
وإكسابه لهن وهدايته إياهن بل صرح أنها ليست من حظوظ
دنياه هو وإن كانت من حظوظ دنيا غيره فقال عليه السلام
حبب إلي من دنياكم ثلاث فدل جعله لما ذكر من النساء والطيب التي
من أمور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل للآخرة للفوائد
التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملائكة في الطيب ولأنه أيضا مما

يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك أسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لأجل
غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت
مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين الحالين فقال وجعلت
قرة عيني في الصلاة فقد ساوى يحيى وعيسى في كفاية فتنتهن
وزاد فضيلة في القيام بهن وكان صلى الله عليه وسلم ممن أقدر على القوة
في هذا وأعطي الكثير منه ولهذا أبيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره
وقد روينا عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة
من الليل والنهار وهن إحدى عشرة قال أنس وكنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين
رجلا خرجه النسائي وروي نحوه عن أبي رافع وعن طاوس أعطي عليه
السلام قوة أربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقالت سلمى مولاته
طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة قبل
أن يأتي الأخرى وقال هذا أطهر وأطيب وروي نحوه عن أبي رافع وقد قال
سليمان صلى الله عليه وسلم لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسعة وتسعين وأنه
فعل ذلك قال ابن عباس كان في ظهر سليمان ماء مائة رجل وكانت له
ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة سرية وحكى النقاش سبعمائة امرأة وثلاث
مائة سرية وقد كان لداود عليه السلام على زهده وأكله من عمل يده
تسع وتسعون امرأة وتمت بتزوج أوريا مائة وقد نبه الله على ذلك في الكتاب
العزيز بقوله تعالى إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث
أنس عنه عليه السلام فضلت على الناس بأربع بالسخاء والشجاعة وكثرة
الجماع والبطش وأما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه
عظمه في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجيها في
الدنيا والآخرة لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الآخرة
فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم

القلوب في الارض وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الخشية والمكانة في
القلوب والعظمة قبل النبوءة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه
ويؤذون أصحابه ويقصدون أذاه في نفسه خفية حتى إذا واجههم عظموا
أمره وقضوا حاجته وأخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كان
يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة أنها لما رأته أرعدت من
الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث أبي مسعود
أن رجلا قام بين يديه فأرعد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هون
عليك فإني لست بملك الحديث فأما عظيم قدره بالنبوءة وشريف
منزلته بالرسالة وإنافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فأمر هو
مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم وإلى معنى هذا
الفصل يلحقنا هذا القسم بأسره. **فصل** وأما الضرب الثالث فهو ما
تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفاضل لأجله ككثرة
المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به إلى [والتفضيل]
حاجته وتمكن أغراضه بسببه وإلا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان
المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه
وأمله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة
من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند أهل الدنيا وإذا صرفه في وجوه [في صاحبه]
البر وأنفقه في سبل الخير وقصد بذلك الله تعالى والدار الآخرة
كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير
موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثيره كالعدم وكان منقصة في
صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل أوقعه في هوة رذيلة البخل
ومذمة النذالة فإذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضليه ليست لنفسه
وإنما هو للتوصل به إلى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه إذا لم

يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى
ولا ممتدح عند أحد من العقلاء بل هو فقير أبدا غير واصل إلى غرض من أغراضه
إذ ما بيده من المال الموصل لها خازن يتسلط عليه فأشبه خازن مال غيره
ولا مال له فكأنه ليس بيده منه شيء والمنفق غني ملي بتحصيله فوائد [في يده]
المال وإن لم يبق في يده من المال شيء فانظر سيرة نبينا عليه السلام
وخلقه في المال تجده قد أوتي خزائن الأرض ومفاتيح البلاد وأحلت له
الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد
الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق
وجلبت إليه من أخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك [ما لا يجبى للملوك]
إلا بعضه وهادته جماعة من ملوك الأقاليم فما استأثر بشيء منه ولا
أمسك منه درهما بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره وقوى به المسلمين
وقال ما يسرني أن لي أحدا ذهبا يبيت عندي منه دينار إلا دينارا أرصده
لديني وأتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها بقية فدفعها لبعض
نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام فقسمها وقال الآن استرحت ومات
صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته
وملبسه ومسكنه على ما تدعوه الضرورة إليه وزهد فيما سواه فكان
يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد
الغليظ ويقسم على من حضره أقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع
لمن لم يحضر إذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف
والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط
في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي
إلى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر به في العادة
عند الناس إنما تعود إلى الفخر بكثرة الموجود ووفر الحال وكذلك

المتباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير آلاته وخدمه ومركوباته ومن
ملك الأرض وجبي إليه ما فيها وترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز
لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة إن كانت فضيلة زائدا عليها
في الفخر ومعرق في المدح بإضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها
في مظانها فصل وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة
والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم
المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه وأثنى الشرع على جميعها
وأمر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بأنه
من أجزاء النبوءة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى
النفس وأوصافها والتوسط فيها دون الميل إلى منحرف أطرافها
فجميعها قد كانت خلق نبينا عليه السلام على الانتهاء في كمالها
والاعتدال إلى غايتها حتى أثنى الله تعالى عليه بذلك فقال وإنك
لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن
يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال عليه السلام بعثت لأتمم
مكارم الأخلاق قال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وعن علي بن أبي طالب رضي الله
عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في أصل خلقته
وأول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة إلا بجود إلهي
وخصوصية ربانية وهكذا لسائر الأنبياء عليهم السلام ومن طالع
سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال عيسى وموسى
ويحيى وسليمان وغيرهم بل غرزت فيهم هذه الأخلاق في الجبلة وأودعوا
العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا
قال المفسرون أعطي يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه وقال

ابن معمر كان ابن سنتين أو ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال
أللعب خلقت قيل في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى
عليهما السلام وهو ابن ثلاث سنين فشهد له بأنه كلمة الله وروحه
وقيل صدقه وهو في بطن أمه فكانت أم يحيى تقول لمريم عليهما
السلام إني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله
تعالى على كلام عيسى لأمه عند ولادتها إياه بقوله ألا تحزني على
قراءة من قرأ من تحتها وعلى قول من قال إن المنادي عيسى عليه السلام
ونص على كلامه في مهده فقال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني
نبيا وقال ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وقد ذكر
من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي
ما اقتدى به داود أبوه عليهما السلام وحكى الطبري أن عمره حين
أوتي الملك اثني عشر عاما وكذلك قصة موسى عليه السلام مع
فرعون وأخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله تعالى
ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل أي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره
وقال ابن عطاء اصطفاه قبل إبداء خلقه وقال بعضهم لما
ولد إبراهيم بعث الله إليه ملكا يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال
قد فعلت ولم يقل أفعل فذلك رشده وقيل إن إلقاء إبراهيم في النار
ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وإن ابتلاء إسحاق بالذبح كان
وهو ابن سبع سنين وإن استدلال إبراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان
وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل أوحي إلى يوسف عليه السلام وهو
صبي عندما هم إخوته بإلقائه في الجب يقول تعالى وأوحينا إليه
لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون إلى غير ذلك مما ذكر من أخبا
رهم وقد حكى أهل السير أن آمنة بنت وهب أخبرت أن نبينا

محمدا صلى الله عليه وسلم ولم يجر ولكن [illegible] إلى الأرض رافعا رأسه إلى السماء، وقال في حديثه: لما نشأت بغضت إلي الأوثان وبغض إلي الشعر، ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين يعصمني الله منهما ثم لم أعد. ثم يتمكن الأمر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق أنوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوءة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة، قال الله تعالى: ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما. وقد نجد غيرهم يطبع على هذه الأخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت أو الشهامة أو صدق اللسان أو السماحة، كما نجد بعضهم على ضدها، فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها، وباختلاف هاذين الحالين يتفاوت الناس فيها، وكل ميسر لما خلق له. ولهذا قد اختلف السلف فيها هل هذه الخلق جبلة أو مكتسبة، فحكى الطبري عن بعض السلف أن الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد، وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن، وبه قال هو. والصحيح ما أصلناه. وقد روى سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه: والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء. وهذه الأخلاق المحمودة والخصال الجميلة كثيرة ولكنا نذكر أصولها ونشير إلى جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها إن شاء الله تعالى.

فصل

أما أصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة الفطنة والإصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل. وقد أشرنا إلى مكانه منه عليه السلام وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه، وإذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحقق عند من تتبع مجاري أحواله واطراد سيره وطالع جوامع كلمه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والإنجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الأمم الخالية وأيامها وضرب الأمثال وسياسات الأنام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة إلى فنون العلم التي اتخذ أهلها كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة وإشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته إن شاء الله تعالى دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس إلى علمائهم بل نبي أمي لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره وأبان أمره وعلمه وأقرأه، يعلم ذلك بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا، فلا نطول بسرد الأقاصيص وآحاد القضايا إذ مجموعها ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع. وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم إلى سائر ما علمه الله وأطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته، قال الله تعالى: وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما. حارت العقول في تقدير فضله عليه وخرست الألسن دون وصف يحيط بذلك أو ينتهي إليه.

فصل

وأما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره، وبين هذه الألقاب فرق، فإن الحلم حالة توقر وثبات عند الأسباب

جنسه والاحتمال حبس النفس عند الآلام والمؤذيات ومثلها الصبر
ومعانيها متقاربة وأما العفو فهو ترك المؤاخذة وهذا كله
مما أدب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو وأمر بالعرف
الآية وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية
سأل جبريل عليه السلام عن تأويلها فقال له حتى أسأل العالم ثم
ذهب ثم أتاه فقال يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من
حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له واصبر على ما أصابك الآية
وقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وقال وليعفوا
وليصفحوا الآية وقال ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور
ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وأن كل حليم قد عرفت منه زلة
وحفظت منه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الأذى
إلا صبرا وعلى إسراف الجاهل إلا حلما حدثنا القاضي أبو عبد الله
محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا نا محمد بن عتاب نا أبو بكر بن واقد القاضي
وغيره قالوا نا أبو عيسى نا عبيد الله نا يحيى بن يحيى نا مالك عن ابن
شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله صلى
الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان
أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك
حرمة الله فينتقم لله بها وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت
رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه شديدا وقالوا
لو دعوت عليهم فقال إني لم أبعث لعانا ولكني بعثت داعيا
ورحمة اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون وروي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه أنه قال في بعض كلامه بأبي أنت وأمي يا رسول الله
لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين

وقف

وقف لله تعالى

ديارا الآية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك
وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت اللهم
اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه
انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الإحسان وحسن الخلق
وكرم النفس وغاية الصبر والحلم إذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت
عنهم حتى عفا ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم اغفر
لقومي أو اهد ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم
بجهلهم فقال فإنهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فإن هذه قسمة
ما أريد بها وجه الله لم يزده في جوابه أن بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها
بما قال له فقال ويحك ومن يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل ونهى
من أراد من أصحابه قتله ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله
صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون في غزاة فلم
ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائم والسيف صلتا في يده فقال
من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فأخذه النبي صلى الله
عليه وسلم وقال من يمنعك مني قال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه
فجاء إلى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس ومن عظيم خبره في العفو
عفوه عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من
الرواية وأنه لم يؤاخذ لبيد بن الأعصم إذ سحره وقد أعلم به وأوحي إليه
بشرح أمره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته وكذلك لم يؤاخذ عبد الله
بن أبي وأشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته عليه السلام
قولا وفعلا بل قال لمن أشار بقتل بعضهم لا يتحدث أن محمدا يقتل أصحابه
وعن أنس كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية
فجبذه أعرابي بردائه جبذة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة

وقف لله تعالى

عاتقه عليه السلام ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك
فإنك لا تحملني من مالك ولا مال أبيك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم
وقال المال مال الله وأنا عبده ثم قال ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي
قال لا قال لم قال لأنك لا تكافي بالسيئة السيئة فضحك النبي صلى الله
عليه وسلم ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر قالت عائشة
رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة
ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله وما ضرب بيده شيئا قط إلا أن
يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امرأة وجيء إليه برجل فقيل
هذا أراد أن يقتلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو
أردت ذلك لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة قبل إسلامه يتقاضاه
دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له ثم قال
إنكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد له في القول والنبي
صلى الله عليه وسلم يبتسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وهو كنا
إلى غير هذا منك أحوج يا عمر تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي
ثم قال لقد بقي من أجله ثلاث وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا
لما روعه فكان سبب إسلامه وذلك أنه كان يقول ما بقي من علامات
النبوة شيء إلا وقد عرفتها في محمد إلا اثنتين لم أخبرهما يسبق حلمه
جهله ولا يزيده شدة الجهل إلا حلما فاختبرته بهذا فوجدته كما وصف
والحديث عن حلمه عليه السلام وصبره وعفوه عند المقدرة أكثر
من أن نأتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات
الثابتة إلى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش وأذى
الجاهلية ومصابرته الشدائد الصعبة معهم إلى أن أظفره الله عليهم وحكمه
فيهم وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم وإبادة خضرائهم فما زاد

على أن عفا وصفح وقال ما تقولون أني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن
أخ كريم فقال أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم الآية وقال
اذهبوا فأنتم الطلقاء وقال أنس هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة
الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا فأعتقهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم الآية وقال
لأبي سفيان وقد سيق إليه بعد أن جلب إليه الأحزاب وقتل عمه وأصحابه
ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن
تعلم أن لا إله إلا الله فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما أحلمك وأوصلك
وأكرمك. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبعد الناس غضبا وأسرعهم
رضا صلى الله عليه وسلم **فصل** وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة
فمعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم الإنفاق
بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه أيضا جرأة وهو ضد
النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس
وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الإنفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد
وهو الجود وهو ضد التقتير وكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى في هذه
الأخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه. نا القاضي الشهيد
أبو علي الصدفي نا القاضي أبو الوليد الباجي نا أبو ذر الهروي نا
أبو الهيثم الكشميهني وأبو محمد السرخسي وأبو إسحاق البلخي نا أبو
عبد الله الفربري نا محمد بن كثير أنا سفيان عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد
الله يقول ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فقال لا. وعن
أنس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم
أجود الناس بالخير وأجود ما كان في شهر رمضان وكان إذا لقيه جبريل
أجود بالخير من الريح المرسلة وعن أنس أن رجلا سأله فأعطاه غنما

بين جبلين فرجع إلى بلده وقال أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة
وأعطى غير واحد مائة من الإبل وأعطى صفوان بن أمية مائة ثم مائة
ثم مائة وهذه كانت خلقه صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وقد قال له
ورقة بن نوفل إنك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها
وكانوا ستة آلاف وأعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل
إليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام إليها يقسمها فما
رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل يسأله فقال ما عندي شيء ولكن
ابتع علي فإذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا
تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال له رجل من الأنصار
يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالا فتبسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا أمرت ذكره الترمذي
وذكر عن معوذ بن عفراء أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب
يريد طبقا وأجر زغب يريد قثاء فأعطاني ملء كفه حليا وذهبا
قال أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد والخبر بجوده وكرمه
صلى الله عليه وسلم كثير وعن أبي هريرة أتى رجل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق
فجاء الرجل يتقاضاه فأعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه نائل

فصل وأما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب
وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت
حيث يحمد فعلها دون خوف وكان صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان
الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والأبطال عنه غير
مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع إلا وقد
أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه نا أبو علي الجياني فيما

كتب لي قال نا القاضي سراج نا أبو محمد الأصيلي نا أبو زيد المروزي نا
محمد بن يوسف نا محمد بن إسماعيل نا ابن بشار نا غندر نا شعبة عن أبي إسحاق
سمع البراء وسأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء
وأبو سفيان آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبي لا كذب
وزاد غيره أنا ابن عبد المطلب قال فما رئي يومئذ أحد كان أشد منه صلى
الله عليه وسلم وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته وذكر مسلم
عن العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين
فطفق النبي صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها
أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين
الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب ولا يغضب
إلا لله لم يقم لغضبه شيء وقال ابن عمر ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا
أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه
إنا كنا إذا حمي البأس ويروى إذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول
الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر
ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد
الناس يومئذ بأسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب من رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا دنا العدو لقربه منه وعن أنس كان النبي صلى
الله عليه وسلم أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس لقد فزع أهل
المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
راجعا قد سبقهم إلى الصوت وقد استبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عري
والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين ما لقي
صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب ولما رآه أبي بن خلف

الجواد بعيد الوجوه [illegible] الغضب لرسول الله صلى الله عليه و[illegible] [illegible] البأس [illegible]

يوم أحد وهو يقول ابن محمد لا نجوت إن نجا، وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم
حين افتدي يوم بدر عندي فرس أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنا أقتلك إن شاء الله، فلما رآه يوم أحد
شد أبي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من
المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا أي خلوا طريقه، وتناول الحربة
من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء
عن ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في
عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا، وقيل بل كسر ضلعا من أضلاعه
فرجع إلى قريش يقول قتلني محمد، وهم يقولون لا بأس بك، فقال لو كان ما بي
بجميع الناس لقتلهم، أليس قد قال أنا أقتلك، والله لو بصق علي لقتلني، فمات
بسرف في قفولهم إلى مكة. فصل وأما الحياء والإغضاء فالحياء رقة
تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهته أو ما يكون تركه خيرا من
فعله، والإغضاء التغافل عما يكره الإنسان بطبيعته، وكان النبي صلى
الله عليه وسلم أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء، قال الله
تعالى إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الآية. ونا أبو محمد
بن عتاب بقراءتي عليه نا أبو القاسم حاتم بن محمد نا أبو الحسن القابسي
نا أبو زيد المروزي نا محمد بن يوسف نا محمد بن إسماعيل نا عبدان أنا عبد الله
أنا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى أنس عن أبي سعيد الخدري
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء
في خدرها، وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه، وكان صلى الله عليه وسلم
لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحدا بما يكرهه حياء وكرم نفس
وعن عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل
ما بال فلان يقول كذا وكذا، ولكن يقول ما بال أقوام يصنعون أو يقولون

العذراء البكر [illegible] مجلسها

كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله. وروى أنس أنه دخل عليه رجل به أثر صفرة فلم
يقل له شيئا، وكان لا يواجه أحدا بما يكره، فلما خرج قال لو قلتم له
يغسل هذا، ويروى ينزعها. قالت عائشة في الصحيح لم يكن النبي صلى
الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا بالأسواق ولا يجزي بالسيئة
السيئة ولكن يعفو ويصفح. وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة
من رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص. وروي عنه أنه كان من حيائه
صلى الله عليه وسلم لا يثبت بصره في وجه أحد، وأنه كان يكني عما اضطره
الكلام إليه مما يكره. وعن عائشة ما رأيت فرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم قط. فصل وأما حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه صلى الله
عليه وسلم مع أصناف الخلق فبحيث انتشرت به الأخبار الصحيحة، قال
علي رضي الله عنه في وصفه صلى الله عليه وسلم كان أوسع الناس صدرا
وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة. أنا أبو الحسن علي
بن مشرف الأنماطي فيما أجازنيه وقرأته عليه قال نا أبو إسحاق الحبال
نا أبو محمد بن النحاس نا ابن الأعرابي نا أبو داود نا هشام بن عمار ومحمد
بن المثنى نا الوليد بن مسلم نا الأوزاعي سمعت يحيى بن أبي كثير يقول
حدثني محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن قيس بن سعد قال
زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في آخرها فلما أراد
الانصراف قرب له سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فأبيت فقال إما أن تركب
وإما أن تنصرف فانصرفت. وفي رواية أخرى اركب أمامي فصاحب
الدابة أولى بمقدمها. وكان صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم
كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير

يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه ويتفقد أصحابه ويعطي كل جلسائه
نصيبه لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو قاربه
لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده
إلا بها أو بميسور من القول وقد وسع الناس بسطه وخلقه صلى الله عليه وسلم
فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء بهذا وصفه ابن أبي هالة قال
وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش
ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قال الله تعالى
فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك
وقال تعالى ادفع بالتي هي أحسن الآية وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية
ولو كانت كراعا ويكافئ عليها قال أنس خدمت النبي صلى الله عليه
وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته و
لا لشيء تركته لم تركته وعن عائشة رضي الله عنها ما كان أحد
أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من أصحابه ولا
أهل بيته إلا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى
الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم وكان يمازح أصحابه ويخالطهم
ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة
والمسكين ويعود المرضى في أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال
أنس رضي الله عنه ما التقم أحد أذن النبي صلى الله عليه وسلم فينحي رأسه
حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى
يرسلها الآخر ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه
بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة لم ير قط مادا رجليه بين أصحابه حتى
يضيق بهما على أحد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة
التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبى ويكني أصحابه ويدعوهم

بأحب أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه
بنهي أو قيام ويروى بانتهاء أو قيام ويروى أنه كان لا يجلس إليه أحد وهو
يصلي إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلاته وكان
أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب
قال عبد الله بن الحارث ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن أنس كان خدم المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا صلى الغداة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بآنية إلا غمس يده فيها وربما
كان ذلك في الغداة الباردة يريدون به التبرك **فصل** وأما الشفقة والرأفة
والرحمة لجميع الخلق فقد قال تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم
بالمؤمنين رءوف رحيم وقال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
قال بعضهم من فضله عليه السلام أن الله أعطاه اسمين من أسمائه فقال
بالمؤمنين رءوف رحيم وحكى نحوه الإمام أبو بكر بن فورك حدثنا الفقيه
أبو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي عليه نا إمام الحرمين أبو علي الطبري
نا عبد الغافر الفارسي نا أبو أحمد الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم بن الحجاج
نا أبو الطاهر نا ابن وهب نا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله
صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صفوان بن أمية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب نا سعيد بن المسيب
أن صفوان قال والله لقد أعطاني ما أعطاني وإنه لأبغض الخلق إلي فما زال
يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إلي وأعطى صلى الله عليه وسلم يومئذ
رجالا من قريش مائة من الإبل وأعطى عيينة بن حصن والأقرع بن حابس
مائة مائة ويروى أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فأعطاه ثم قال
أحسنت إليك قال الأعرابي لا ولا أجملت فغضب المسلمون وقاموا
إليه فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل إليه وزاده شيئا ثم

وقف لله سبحانه وتعالى

قال أحسنت إليك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي من ذلك شيء
فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم
عليك قال نعم فلما كان الغد أو العشي جاء فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك
قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم مثلي
ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا
نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها منكم
وأعلم فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى
جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإني لو تركتكم
حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروي عنه صلى الله عليه
وسلم أنه قال لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن
أخرج إليكم وأنا سليم الصدر ومن شفقته على أمته عليه السلام تخفيفه
وتسهيله عليهم وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم كقوله لولا أن
أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة وخبر صلاة الليل ونهيهم
عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا تعنت أمته ورغبته لربه أن يجعل
سبه ولعنه لهم رحمة بهم وأنه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته ومن
شفقته صلى الله عليه وسلم أن دعا ربه وعاهده فقال أيما رجل سببته أو لعنته
فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه بها إليك يوم
القيامة ولما كذبه قومه أتاه جبريل عليه السلام فقال إن الله قد
سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت
فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت إن شئت أن أطبق
عليهم الأخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم

يعني قمام الأرض حشيشها العشب

يعني واستناخت بركت بمعنى

تسهيله

وقف لله سبحانه وتعالى

من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر أن جبريل عليه السلام
قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى أمر السماء والأرض أن تطيعك
فقال أؤخر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم قالت عائشة رضي الله
عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما
وقال ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة
مخافة السآمة علينا وعن عائشة رضي الله عنها أنها ركبت بعيرا وفيه
صعوبة فجعلت تردده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق

فصل وأما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم
فحدثنا القاضي أبو عامر محمد بن إسماعيل بقراءتي عليه قال نا أبو بكر محمد
بن محمد نا أبو إسحاق الحبال نا أبو محمد بن النحاس حدثنا ابن الأعرابي نا أبو داود
نا محمد بن يحيى نا محمد بن سنان نا إبراهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم
بن عبد الله بن شقيق عن أبيه عن عبد الله بن أبي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله
عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه
فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد
شققت علي أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك وعن أنس كان النبي صلى
الله عليه وسلم إذا أتي بهدية قال اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت
صديقة لخديجة إنها كانت تحب خديجة وعن عائشة رضي الله عنها قالت
ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت أسمعه يذكرها وإن كان
ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها واستأذنت عليه أختها فارتاح إليها
ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها فلما خرجت قال إنها كانت
تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان ووصفه بعضهم فقال
كان يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم وقال صلى
الله عليه وسلم إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء غير أن لهم رحما سأبلها

ببلالها :: وقد صلى عليه السلام بامامة بنت ابنته زينب يحملها على عاتقه
فاذا سجد وضعها واذا قام حملها وعن أبي قتادة وقدم وفد للنجاشي
فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له أصحابه نكفيك فقال انهم
كانوا لأصحابنا مكرمين واني أحب أن أكافئهم ولما جيء بأخته من
الرضاعة الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال
لها ان احببت أقمت عندي مكرمة محببة أو متعتك وترجعين الى قومك
فاختارت قومها فمتعها وقال أبو الطفيل رأيت النبي صلى الله عليه
وسلم وأنا غلام اذ أقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط رداءه فجلست
عليه فقلت من هذه قالوا أمه التي أرضعته وعن عمر بن السائب
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل أبوه من الرضاعة
فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه
من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه وكان يبعث الى ثويبة مولاة أبي
لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سأل من بقي من قرابتها فقيل
لا أحد وفي حديث خديجة أنها قالت له صلى الله عليه وسلم أبشر فوالله لا
يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري
الضيف وتعين على نوائب الحق فصل وأما تواضعه صلى الله عليه
وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته فكان أشد الناس تواضعا وأقلهم
كبرا وحسبك أنه خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار
أن يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك فان الله قد أعطاك
بما تواضعت له أنك سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه
الأرض وأول شافع ثنا أبو الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه
في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة قال ثنا أبو علي الحافظ ثنا أبو

عمر ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا أبو داود ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا
عبد الله بن نمير عن مسعر عن أبي العنبس عن أبي العدبس عن أبي مرزوق عن أبي
غالب عن أبي أمامة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا
على عصى فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها
بعضا وقال انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس
العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس
الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين أصحابه مختلطا بهم حيث ما
انتهى به المجلس جلس وفي حديث عمر عنه صلى الله عليه وسلم لا تطروني
كما أطرت النصارى ابن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن
أنس أن امرأة كان في عقلها شيء جاءته فقالت ان لي اليك حاجة قال
اجلسي يا أم فلان في أي طرق المدينة أجلس اليك حتى أقضي حاجتك قال
فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها قال
أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان
يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال وكان يدعى
الى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب قال وحج صلى الله عليه وسلم على رحل
رث وعليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء
فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الأرض وأهدى في حجه ذلك مائة بدنة
ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ على رحله رأسه حتى
كاد يمس قادمته تواضعا لله ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني
على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الأنبياء ولا تخيروني على موسى ونحن أحق
بالشك من ابراهيم ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لأجبت الداعي وقال
للذي قال له يا خير البرية ذاك ابراهيم وسيأتي الكلام على هذه الأحاديث
بعد هذا ان شاء الله عز وجل وعن عائشة والحسن وأبي سعيد وغيرهم

في صلاته وبعضهم على بعض وكان في بيته في مهنة أهله يفلي ثوبه ويحلب
شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويعلف ناضحه ويقم البيت
ويعقل البعير ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وعن
أنس رحمه الله إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضي حاجتها. ودخل عليه
رجل فأصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك فإني لست بملك إنما
أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وعن أبي هريرة رضي الله عنه دخلت
السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوزان زن وأرجح
وذكر القصة قال فوثب إلى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال
هذا تفعله الأعاجم بملوكها ولست بملك إنما أنا رجل منكم ثم أخذ
السراويل فذهبت لأحمله فقال صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله

فصل

وأما عدله صلى الله عليه وسلم وأمانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه
وسلم آمن الناس وأعدل الناس وأعف الناس وأصدقهم لهجة منذ كان اعترف
له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الأمين قال ابن إسحق
كان يسمى الأمين بما جمع الله فيه من الأخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع ثم
أمين أكثر المفسرين على أنه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلفت قريش
وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا أول داخل عليهم فإذا بالنبي
صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الأمين قد
رضينا به. وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الجاهلية قبل الإسلام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله إني لأمين
في السماء وأمين في الأرض نا أبو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه ثنا
أبو الفضل بن خيرون ثنا أبو يعلى بن زوج الحرة ثنا أبو علي السنجي ثنا محمد بن
محبوب المروزي ثنا أبو عيسى الترمذي الحافظ ثنا أبو كريب ثنا معوية بن هشام

عن سفين عن أبي إسحق عن ناجية بن كعب عن علي رضي الله عنه أن أبا
جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت
به فأنزل الله تعالى فإنهم لا يكذبونك الآية وروى غيره لا نكذبك وما
أنت فينا بمكذب وقيل إن الأخنس بن شريق لقي أبا جهل يوم بدر
فقال له يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني
عن محمد صادق أم كاذب فقال أبو جهل والله إنه لصادق وما كذب
محمد قط وسأل هرقل عنه أبا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب
قبل أن يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان محمد
فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة
حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا
والله ما هو بساحر وفي الحديث عنه ما لمست يده يد امرأة قط لا
يملك رقها وفي حديث علي في وصفه عليه السلام أصدق الناس لهجة
وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم
أعدل قالت عائشة ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين
إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه
قال أبو العباس المبرد قسم كسرى أيامه فقال يصلح يوم الريح
للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس
للحوائج قال ابن خالويه ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون
ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون لكن نبينا صلى الله
عليه وسلم جزأ نهاره ثلاثة أجزاء جزءا لله وجزءا لأهله وجزءا لنفسه
ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول
أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغي فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع
آمنه الله يوم الفزع الأكبر وعن الحسن كان رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم لا يواخذ أحدا بغرة أحد ولا يصدق أحدا على أحد. ذكر أبو جعفر الطبري وعن علي رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى أكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست أنظر فضرب على أذني فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس فرجعت ولم أقض شيئا ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك ثم لم أهم بعد ذلك بسوء.

فصل وأما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه فحدثنا أبو علي الجياني الحافظ إجازة وعارضت بكتابه قال نا أبو العباس الدلائي نا أبو ذر الهروي نا أبو عبد الله الوراق نا اللؤلؤي نا أبو داود نا عبد الرحمن بن سلام نا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب سمعت خارجة ابن زيد يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من أطرافه. وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان أكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا. وعن جابر بن سمرة أنه تربع وربما جلس القرفصاء وهو في حديث قيلة وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول فيه ولا تقصير وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير. وفي

يخطو

صفته صلى الله عليه وسلم يخطو تكفؤا ويمشي هونا كأنما ينحط من صبب وفي الحديث الآخر إذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيه أنه غير غرض ولا وكل أي غير ضجر ولا كسلان. وقال عبد الله ابن مسعود إن أحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل أو ترسيل. قال ابن أبي هالة كان سكوته على أربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر. قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد أحصاه. وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيرا ويحض عليهما ويقول حبب إلي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة. ومن مروءته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والأمر بالأكل مما يلي والأمر بالسواك وإنقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة.

فصل وأما زهده في الدنيا صلى الله عليه وسلم فقد تقدم من الأخبار أثناء هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها وإعراضه عن زهرتها وقد سيقت إليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها أن توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا. نا سفيان بن العاصي والحسين بن محمد الحافظ والقاضي أبو عبد الله التميمي قالوا حدثنا أحمد بن عمر قال نا أبو العباس الرازي قال نا أبو أحمد الجلودي نا ابن سفيان نا أبو الحسين مسلم بن الحجاج نا أبو بكر ابن أبي شيبة نا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية أخرى من خبز شعير يومين متوالين ولو شاء لأعطاه الله ما لا يخطر ببال وفي رواية أخرى ما شبع آل

رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله وقالت عائشة
رضي الله عنها ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا
شاة ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن الحارث ما ترك إلا سلاحه وبغلته وأرضا
جعلها صدقة قالت عائشة رضي الله عنها ولقد مات وما في بيتي شيء
يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي وقال لي إني عرض علي أن يجعل
لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم
الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك
وأثني عليك. وفي حديث آخر أن جبريل نزل عليه فقال له إن الله يقرئك
السلام ويقول لك أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث
كنت فأطرق ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له ومال من
لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول
الثابت وعن عائشة رضي الله عنها قالت إن كنا آل محمد لنمكث شهرا
ما نستوقد نارا إن هو إلا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف هلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير
وعن عائشة رضي الله عنها وأبي أمامة وابن عباس نحوه قال ابن عباس
كان صلى الله عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون
عشاء وعن أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في
سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا قط وعن عائشة رضي
الله عنها إنما كان فراشه الذي ينام عليه أدما حشوه ليف وعن حفصة رضي
الله عنها كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي مسحا نثنيه ثنيتين
فينام عليه فثنيناه له ليلة بأربع فلما أصبح قال ما فرشتموني الليلة
فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فإن وطأته منعتني الليلة صلاتي
وكان ينام أحيانا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه وعن

وقف

عائشة قالت لم يمتل جوف نبي الله شبعا قط ولم يبث شكوى إلى أحد
وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى وإن كان ليظل جائعا يلتوي طول
ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه كنوز جميع الأرض
وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت أبكي له رحمة مما أرى به وأمسح
بيدي على بطنه مما به من الجوع وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من
الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة ما لي وللدنيا إخواني من أولي العزم
من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على
ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحيي إن ترفهت في معيشتي
أن يقصر بي غدا دونهم وما من شيء أحب إلي من اللحوق بإخواني وأخلائي
قالت فما أقام بعد إلا شهرا حتى توفي صلى الله عليه وسلم

فصل

وأما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك
قال فيما حدثناه أبو محمد بن عتاب قراءة مني عليه قال حدثنا أبو القاسم
الطرابلسي نا أبو الحسن القابسي نا أبو زيد المروزي نا أبو عبد الله
الفربري نا محمد بن إسماعيل نا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن
شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يقول قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا زاد في روايتنا عن أبي عيسى الترمذي رفعه إلى أبي ذر إني أرى
ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها
موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو
تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء
على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله لوددت أني شجرة تعضد
روي هذا الكلام وددت أني شجرة تعضد من قول أبي ذر نفسه وهو
أصح وفي حديث المغيرة بن شعبة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى

انتفخت قدماه. وفي رواية كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له أتكلف
هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا غفر لك
ونحوه عن أبي سلمة وأبي هريرة وقالت عائشة كان عمل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق وقالت كان يصوم
حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم. ونحوه عن ابن عباس
وأم سلمة وأنس رضي الله عنهم وقال كنت لا تشاء أن تراه من الليل مصليا
إلا رأيته مصليا ولا نائما إلا رأيته نائما وقال عوف بن مالك كنت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت
معه فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ولا يمر بآية عذاب
إلا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت
والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة
يفعل مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين
السجدتين نحوا منه وقال حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة ه
وعن عائشة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة
وعن عبد الله بن الشخير أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي
ولجوفه أزيز كأزيز المرجل قال ابن أبي هالة كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة وقال عليه السلام
إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة وعن علي مرة
رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال
المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي
وذكر الله أنيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر
ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي
والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة

وفي حديث آخر وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لأجل أمتي وشوقي إلى ربي
فصل اعلم وفقنا الله وإياك أن صفات جميع الأنبياء والرسل صلوات والرسل
الله عليهم من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع
المحاسن هي هذه الصفة لأنها صفات الكمال والكمال التمام البشري والفضل
الجميع لهم صلوات الله عليهم إذ رتبتهم أشرف الرتب ودرجاتهم أشرف الدرجات
ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض وقال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد
قال عليه السلام إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر
ثم قال آخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم طوله ستون
ذراعا في السماء وفي حديث أبي هريرة رأيت موسى فإذا رجل ضرب
رجل أقنى كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى فإذا هو رجل ربعة كثير
خيلان الوجه أحمر كأنما خرج من ديماس وفي حديث آخر مبطن مثل
السيف قال وأنا أشبه ولد إبراهيم به وقال في حديث آخر في صفة
موسى كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال وفي حديث أبي هريرة
عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله بعد لوط نبيا إلا في ذروة من قومه
ويروى في ثروة أي في كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة وروا الدار
قطني من حديث قتادة عن أنس ما بعث الله نبيا إلا حسن الوجه
حسن الصوت وكان نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا وفي
حديث هرقل وسألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب وكذلك
الرسل تبعث في أنساب قومها وقال تعالى في أيوب إنا وجدناه صابرا
نعم العبد إنه أواب وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة إلى قوله ويوم
يبعث حيا وقال إن الله يبشرك بيحيى إلى قوله من الصالحين وقال
إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران الآيتين وقال في نوح

إنه كان عبدا شكورا وقال إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح إلى
قوله من الصالحين وقال إني عبد الله آتاني الكتاب إلى ما دمت حيا
وقال يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية قال
النبي صلى الله عليه وسلم كان موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جلده
شيء استحياء الحديث وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الآية وقال
في وصف جماعة منهم إني لكم رسول أمين الآية وقال إن خير من استأجرت
القوي الأمين وقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وقال
ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا إلى قوله فبهداهم اقتده فوصفهم
بأوصاف جمة من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة وقال صح جملة
فبشرناه بغلام حليم وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول
كريم أن أدوا وقال ستجدني إن شاء الله من الصابرين وقال في إسماعيل
إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا الآيتين وفي موسى إنه كان
مخلصا وفي سليمان نعم العبد إنه أواب وقال واذكر عبادنا إبراهيم
وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار إلى الأخيار وفي داود إنه أواب
ثم قال وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وقال عن يوسف
عليه السلام اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم وفي موسى
ستجدني إن شاء الله صابرا وقال وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم
عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وقال ولوطا آتيناه حكما
وعلما وقال إنهم كانوا يسارعون في الخيرات الآية قال سفيان يسارعون
هو الحزن الدائم في آي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن أخلاقهم
الدالة على كمالهم وجاء في ذلك من الأحاديث كثير كقوله صلى
الله عليه وسلم إنما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب
بن إسحاق بن إبراهيم نبي بن نبي بن نبي بن نبي وفي حديث أنس وكذلك

الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم وروي أن سليمان عليه السلام كان مع
ما أعطي من الملك لا يرفع بصره إلى السماء تخشعا وتواضعا لله وكان
الله يطعم الناس لذائذ الأطعمة ويأكل خبز الشعير وأوحى الله إليه يا رأس العا
بدين وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده
فيأمر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف ما لك
تجوع وأنت على خزائن الأرض فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع وروى
أبو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم خفف على داود القرآن فكان يأمر
بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج ولا يأكل إلا من عمل يده قال
الله تعالى وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد وكان سأل
ربه أن يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله وقال صلى الله عليه وسلم
أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود
وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر
يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد
[illegible] ببصره [illegible] مستحيا من الله تعالى ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره
إلى السماء حياء من ربه ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى
نبت العشب من دموع عينيه وحتى اتخذت الدموع في خده أخدودا
وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيستمع الثناء عليه فيزداد
تواضعا وقيل لعيسى صلى الله عليه وسلم لو اتخذت حمارا فقال
أنا أكرم على الله من أن يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر ويأكل
الشجر ولم يكن له بيت أينما أدركه النوم نام وكان أحب الأسماء
إليه أن يقال له مسكين وقيل إن موسى صلى الله عليه لما ورد ماء مدين
كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال عليه السلام لقد
كان الأنبياء قبلي يبتلى أحدهم بالقمل والفقر وكان ذلك أحب إليهم

من العظام البالية وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب بسلام
فقيل له في ذلك فقال أكره أن أعود لساني النطق بالسوء وقال
مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله حتى اتخذ
الدمع مجرى في خده وكان يأكل مع الوحش لئلا يخالط الناس وحكى
الطبري عن وهب أن موسى كان يستظل بعريش ويأكل في نقرة من حجر
ويكرع فيها إذا أراد أن يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله بما أكرمه
من كلامه وأخبارهم صلوات الله عليهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم
في الكمال وجميل الأخلاق وحسن الصورة والشمائل معروفة مشهورة
فلا نطول بها ولا نلتفت إلى ما تجده في كتب بعض جهلة المؤرخين والمفسرين
مما يخالف هذا **فصل** قد أتيناك أكرمك الله من ذكر الأخلاق الحميدة
والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة وأريناك صحتها له صلى الله
عليه وسلم وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع والأمر أوسع فمجال هذا الباب
في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع دون نفاده الأدلاء وبحر علم خصائصه
زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا أتينا فيه بالمعروف مما أكثره في الصحيح
والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كثر وغيض من فيض
ورأينا أن نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن أبي هالة لجمعه من
شمائله وأوصافه كثيرا وإدماجه جملة كافية من سيره وفضائله ونصله
بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله **قال القاضي** أبو علي
الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة قال
حدثنا الإمام أبو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قرأت عليه أخبركم
الفقيه الأديب أبو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري والشيخ
الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن المحمدي والقاضي أبو علي الحسين
بن علي بن جعفر الوخشي قالوا أنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن الحسن

الحشيش

ويكرع [illegible]

لا تكدره الدلاء [illegible]

بقليل من كثير

الخزاعي قال أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي قال أنا أبو عيسى
محمد بن عيسى بن سورة الترمذي الحافظ قال نا سفيان بن وكيع نا جميع
بن عمر بن عبد الرحمن العجلي إملاء من كتابه قال حدثني رجل من بني تميم
من ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها يكنى أبا عبد
الله عن ابن لأبي هالة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال
سألت خالي هند بن أبي هالة **قال القاضي** أبو علي رحمه الله وقرأت
على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد بن خداداذ الكرجي الباقلاني
قال وأجاز لنا الشيخ الأجل أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون قالا أنا
أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم ابن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران
الفارسي قراءة عليه فأقر به قال أنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن
بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف
بابن أخي طاهر العلوي قال نا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد
بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال حدثني علي بن جعفر بن محمد
بن علي بن الحسين عن أخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد
ابن علي عن علي بن الحسين قال قال الحسن بن علي واللفظ لهذا السند
سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان وصافا وأنا أرجو أن يصف لي منها شيئا أتعلق به قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر
ليلة البدر أطول من المربوع وأقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر
إن انفرقت عقيقته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره أزهر
اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب
أقنى العرنين له نور يعلوه ويحسبه من لم يتأمله أشم كث اللحية أدعج
سهل الخدين ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان دقيق المسربة كأن عنقه

جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادن متماسك سواء البطن
والصدر فسيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس أنور المتجرد
موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين ما سوى ما بين
ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر طويل الزندين رحب
الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الأطراف سبط العصب خمصان
الأخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء إذا زال زال تقلعا ويخطو
تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب وإذا
التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره النعت
إلى السماء جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه ويبدر من لقيه بالسلام
قلت صفه لي منطقه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل
الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت
يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول
فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وإن دقت لا يذم
شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا تقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء
حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها إذا أشار أشار بكفه
كلها وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل بها وضرب بإبهامه اليمنى يعني معنى
راحة اليسرى وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غض طرفه جل كفه اليسرى
ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها الحسين
بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه فسأل أباه عن مدخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه
شيئا قال الحسين سألت أبي عليه السلام عن دخول رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك فكان إذا
أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءا لله تعالى وجزءا لأهله وجزءا

لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا
يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته صلى الله عليه وسلم في جزء الأمة إيثار
أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين فمنهم ذو الحاجة ومنهم
ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة
من مسألته عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم
الغائب وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته فإنه من أبلغ سلطانا
حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة لا يذكر عنده
إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره يدخلون روادا قال في حديث سفيان بن
وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون إلا عن ذواق ويخرجون أدلة على الخير يعني فقهاء
قلت فأخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه إلا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم
يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن
يطوي عن أحد بشره وخلقه ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس ويحسن
الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الأمر غير مختلف لا يغفل
مخافة أن يغفلوا أو يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه
إلى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة للمسلمين
وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة وموازرة فسألته عن مجلسه
عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم
إلا على ذكر ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها وإذا انتهى إلى القوم وينهى صح
جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى
لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو قاومه لحاجة صابره
حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور
من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه صلى الله عليه وسلم فصار لهم أبا

وصار واعتره في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى. وفي الرواية الاخرى
وصاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه
الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين
متعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير
ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم
في جلسائه فقال كان صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق
لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح
يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلاث المراء والاكثار
وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم أحدا ولا يعيره ولا يطلب
عورته ولا يتكلم الا فيما رجا ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كأنما
على رؤوسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث
من تكلم انصتوا له حتى يفرغ حديثهم عنده حديث أولهم يضحك مما
يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق
ويقول اذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثناء
الا من مكافئ ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء
أو قيام هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد الاخر قلت كيف
كان سكوته صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على أربع على الحلم
والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع
من الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم
في الصبر وكان لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له في الحذر أربع أخذه
بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاده الرأي فيما
أصلح أمته والقيام لهم بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة انتهى الوصف
بحمد الله فصل في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشرب

ولا تكلمني فيه كلام السوء

يعنيه

اي البائن الطول في نحافة. وهو مثل قوله في الحديث الاخر ليس بالطويل
الممغط والشعر الرجل الذي كأنه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد
والعقيقة شعر الراس اراد ان انفرقت من ذات نفسها فرقها والا تركها
معقوصة ويروى عقيصته وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه
زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وهذا كما قال في الحديث الاخر ليس بالابيض
الامهق ولا بالآدم والامهق هو الناصع البياض والآدم الاسمر اللون
ومثله في الحديث الاخر ابيض مشرب اي فيه حمرة والحاجب الازج المقوس
الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل
قصبة الانف والقرن التقاء الحاجبين وضده البلج. ووقع في حديث
ام معبد وصفه بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الاخر
اشكل العين والشكل في العين هو ان يكون في بياضها حمرة. والضليع الواسع والشنب
رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزز فيها كما يوجد في اسنان الشباب
والفلج فرق بين الثنايا والمسربة الشعر الذي بين الصدر والسرة
بادن متماسك اي معتدل الخلق متماسك بعضه بعضا مثل قوله
في الحديث الاخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اي ليس بمسترخي اللحم والمكلثم
القصير الذقن وسواء البطن والصدر اي مستويهما. ومشيح الصدر ان صحت
هذه اللفظة وهو بها مترتبة وبه يصح قوله قبل سواء البطن والصدر ليس
بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظة مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى
عريض كما وقع في الرواية الاخرى حكاه ابن دريد والكراديس رؤوس
العظام وهو مثل قوله في الحديث الاخر جليل المشاش والكتد والمشاش رؤوس
المناكب والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان
عظما الذراعين وسائل الاطراف اي طويل الاصابع. وذكر ابن الانباري
انه روي سائن الاطراف او قال سائل بالنون وهما بمعنى تبدل اللام من

وقف لله سبحانه وتعالى

سوذر صحيح الرواية بها وأما على الرواية الأخرى وسائر الأعراب فإشارة
إلى تجافيه جوارحه كما وقف مفصلة في الحروف ورحب الراحة أي واسعها
وقيل كناية عن سعة العطاء والجود وخمصان الأخمصين أي متجافي أخمص
القدمين وهو الموضع الذي لا تناله الأرض من وسط باطن القدم ومسيح القدمين
أي أملسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء وفي حديث أبي هريرة خلاف
هذا قال فيه إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص وهذا يوافق معنى
قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمي المسيح بن مريم عليه السلام أي لم يكن
له أخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهو أيضا يخالف قوله شثن القدمين
والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل إلى سنن المشي وقصده والهون
الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو أي أن مشيه كان يرفع فيه رجليه
بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق
وتثبت دون عجلة كما قال كأنما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام
ويختمه بأشداقه أي لسعة فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم بصغر الفم
وأشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة
على العامة أي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة إليه فتوصل عنه للعامة
وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء آخر للعامة ويدخلون روادا
أي محتاجين إليه وطالبين لما عنده ولا يتفرقون إلا عن ذواق قيل عن
علم يتعلمونه ويشبه أن يكون على ظاهره أي في الغالب والأكثر والعتاد
العدة والشيء الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الأماكن
أي لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما . وقد وردت نعته صلى الله عليه وسلم
عن هند مفسرا في غير هذا الحرف . وصابره أي حبس نفسه على ما يريد
صاحبه وقوله ولا تؤبن فيه الحرم أي لا يذكرن فيه بسوء ولا تنثى فلتاته
أي تعرف بها أي لم يكن فيه فلتة وإن كانت من أحد سترت [illegible]

وقف لله سبحانه وتعالى

بقبول الثناء

والسخاب الصخب الصياح . وقوله ولا يقبل الثناء
إلا من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل إلا من مسلم وقيل إلا
من مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
وفي حديث آخر في صفته منهوس العقب أي قليل لحمها وأهدب الأشفار
أي طويل شعرها

الباب الثالث فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين

من كرامته صلى الله عليه وسلم لا خلاف أنه أكرم البشر وسيد ولد آدم
وأفضل الناس منزلة عند الله تعالى وأعلاهم درجة وأقربهم زلفى اعلم
أن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها [illegible]
ومنتشرها وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا

الفصل الأول

فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر
والتفضيل وسيادة ولد آدم وما خصه به من مزايا الرتب . حدثنا الشيخ أبو
محمد عبد الله بن أحمد العدل [illegible] بلفظه قال نا أبو الحسن الفرغاني حدثتنا أم
القاسم بنت أبي بكر بن يعقوب عن أبيها نا حاتم هو ابن عقيل عن يحيى هو ابن
إسماعيل عن يحيى الحماني نا قيس عن الأعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم
قسما فذلك قوله أصحاب اليمين وأصحاب الشمال فأنا من أصحاب اليمين وأنا
خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني من خيرها ثلثا وذلك
قوله أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون فأنا من السابقين وأنا
خير السابقين ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله
وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا الآية فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم
على الله تعالى ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك
قوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية وعن أبي سلمة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوءة قال وآدم بين الروح والجسد وعن واثلة بن الأسقع رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ومن حديث أنس أنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس أنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر وعن عائشة رضي الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل فقال قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر رجلا أفضل من محمد ولم أر بني أب أفضل من بني هاشم وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس عنه عليه السلام لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه إلى الأرض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب إبراهيم ثم لم يزل ينقلني من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجني بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط وإلى هذا أشار العباس بن عبد المطلب عمه رضي الله عنه بقوله

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ... أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ... ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم ... إذا مضى عالم بدا طبق

في أبيات أخر وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أبو ذر وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم أنه قال أعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب

الأنبياء والنور ومثل الرشاد تنفرد

مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية أخرى وعرض علي أمتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت إلى الأحمر والأسود قيل الأسود العرب لأن الغالب على ألوانهم الأدمة وغيرهم من البيض والحمر العجم وقيل البيض والسود من الأمم وقيل الحمر الإنس والسود الجن وفي الحديث الآخر عن أبي هريرة ونصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم وبينا أنا نائم إذ جيء بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي وفي رواية عنه وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا محمد النبي الأمي لا نبي بعدي أوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر رضي الله عنه بعثت بين يدي الساعة ومن رواية ابن وهب أنه عليه السلام قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما أسأل يا رب اتخذت إبراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا وأعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فقال الله تعالى ما أعطيتك خير من ذلك أعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء والأرض وجعلت لك الأرض طهورا ولأمتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فأنت تمشي في الأرض مغفورا لك ولم أصنع ذلك لأحد قبلك وجعلت قلوب أمتك مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم أخبأها لنبي غيرك وروى حذيفة بشرني أول من

يدخل الجنة معي من أمتي سبعون ألفا مع كل ألف سبعون ألفا بغير
حساب وأعطاني ألا تجوع أمتي ولا تغلب وأعطاني النصر والعزة
والرعب يسعى بين يدي أمتي شهرا وطيب لي ولأمتي المغانم وأحل لنا
كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج وعن أبي هريرة
عنه صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات
ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله إلي فأرجو
أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته عليه
السلام ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الأنبياء عليهم السلام ذهبت للحين
ولم يشاهدها إلا الحاضر لها ومعجزة القرآن يقف عليها قرن بعد قرن
عيانا لا خبرا إلى يوم القيامة وفيه كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا
القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا آخر باب المعجزات وعن علي
رضي الله عنه كل نبي أعطي سبعة نجباء من أمته وأعطي نبيكم صلى
الله عليه وسلم أربعة عشر نجيبا منهم أبو بكر وعمر وابن مسعود وعمار وقال
صلى الله عليه وسلم إن الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله
والمؤمنين وإنها لم تحل لأحد بعدي وإنما أحلت لي ساعة من نهار وعن
العرباض بن سارية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إني عبد
الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وعدة أبي إبراهيم وبشارة
عيسى بن مريم وعن ابن عباس قال إن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم
على أهل السماء وعلى الأنبياء قالوا فما فضله على أهل السماء قال إن
الله قال لأهل السماء ومن يقل منهم إني إله من دونه الآية وقال لمحمد
صلى الله عليه وسلم إنا فتحنا لك فتحا مبينا الآية وقال لمحمد صلى الله
عليه وسلم وما أرسلناك إلا كافة للناس وعن خالد بن معدان
أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله أخبرنا

عن نفسك وقد روي نحوه عن أبي ذر وشداد بن أوس وأنس بن مالك فقال
نعم أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي أنه
خرج منها نور أضاء له قصور بصرى من أرض الشام واسترضعت في بني
سعد بن بكر فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا إذ جاءني
رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث آخر ثلاثة رجال بطست من ذهب
مملوءة ثلجا فأخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري إلى مراق
بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها
ثم غسلا بطني وقلبي بذلك الثلج حتى أنقياه قال في حديث آخر ثم تناول
أحدهما شيئا فإذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ
إيمانا وحكمة ثم أعاده مكانه وأمر الآخر يده على مفرق صدري فالتأم
وفي رواية أن جبريل قال قلب وكيع أي شديد فيه عينان تبصران وأذنان
تسمعان ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنني بهم فرجحتهم
ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بألف من أمته فوزنني
بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنها قال في الحديث
الآخر ثم ضموني إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم
ترع إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من
قولهم ما أكرمك على الله إن الله معك وملائكته قال في حديث أبي ذر
فما هو إلا أن وليا عني فكأنما أرى الأمر معاينة وحكى أبو محمد
مكي وأبو الليث السمرقندي وغيرهما أن آدم عند معصيته قال اللهم بحق
محمد صلى الله عليه وسلم اغفر لي خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال له الله من
أين عرفت محمدا قال رأيت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا إله إلا الله محمد
رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت أنه أكرم خلقك عليك فتاب
الله عليه وغفر له وهذا عند قائله تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات

سميعتان

وقيل كان آدم يكنى بأبي محمد وقيل بأبي البشر وفي رواية الآجري فقال
آدم لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد
رسول الله فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع
اسمك فأوحى الله إليه وعزتي وجلالي إنه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما
خلقتك وروى عن سريج بن يونس أنه قال إن لله ملائكة سياحين عبادتهم كل
دار فيها أحمد أو محمد إكراما لمحمد عليه السلام وروى ابن قانع القاضي عن أبي
الحمراء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري بي إلى السماء إذا على العرش مكتوب
لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي وفي التفسير عن ابن عباس رضي
الله عنه في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبت
لمن أيقن بالقدر كيف ينصب عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبت لمن
أيقن بالدنيا وتقلبها كيف يطمئن إليها أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدي ورسولي
وعن ابن عباس رضي الله عنه على باب الجنة مكتوب إني أنا الله لا إله إلا
أنا محمد رسول الله لا أعذب من قالها وذكر أنه وجد على الحجارة القديمة مكتوب
محمد تقي مصلح وسيد أمين **وذكر السمنطاري** أنه شاهد في بعض بلاد
خراسان مولودا ولد على أحد جنبيه مكتوب لا إله إلا الله وعلى الآخر محمد
رسول الله وذكر الأخباريون أن ببلاد الهند وردا أحمر مكتوب عليه بالأ
بيض لا إله إلا الله محمد رسول الله **وروى عن جعفر بن محمد** عن أبيه إذا كان
يوم القيامة نادى مناد ألا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه
صلى الله عليه وسلم وروى ابن القاسم في سماعه عن مالك سمعت أهل مكة
يقولون ما من بيت فيه اسم محمد إلا نما ورزقوا ورزق جيرانهم وعنه
عليه السلام ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة **وعن عبد
الله بن مسعود** إن الله نظر إلى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد صلى الله
عليه وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش أن

النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا
أزواجه من بعده أبدا الآية قام خطيبا فقال يا معشر أهل الإيمان إن الله فضلني
عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث

فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة الإسراء من المناجاة والرؤية وإمامة الأنبياء والعروج
به إلى سدرة المنتهى وما رأى من آيات ربه الكبرى ومن خصائصه عليه
السلام **قصة الإسراء** وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه
الكتاب العزيز وشرحته صحاح الأخبار فقال الله تعالى سبحان الذي أسرى
بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الآية وقال والنجم إذا
هوى إلى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة
الإسراء به صلى الله عليه وسلم وهو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه
وخواص محمد نبينا صلى الله عليه وسلم فيه أحاديث كثيرة منتشرة رأينا أن نقدم
أكملها ونشير إلى زيادة من غيره يجب ذكرها: نا القاضي الشهيد أبو علي
والفقيه أبو بحر بسماعي عليهما والقاضي أبو عبد الله التميمي وغير واحد من
شيوخنا قالوا نا أبو العباس العذري نا أبو العباس الرازي نا أبو أحمد
الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم ابن الحجاج نا شيبان بن فروخ نا حماد بن
سلمة نا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره
عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة
التي يربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت
فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت
الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا
بآدم صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الدنيا

فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث
إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى
بن زكرياء عليهما السلام فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة
فذكر مثل الأول ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام وإذا هو أعطي
شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة وذكر مثله
فإذا أنا بإدريس عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه
مكانا عليا ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فذكر مثله فإذا أنا بهارون
عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة
فذكر مثله فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج
بنا إلى السماء السابعة فذكر مثله فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام
مسندا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك
لا يعودون إليه ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة
وإذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله تعالى ما غشي تغيرت
فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إلي
ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى فقال
ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فسله التخفيف
فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال
فرجعت إلى ربي فقلت يا رب خفف على أمتي فحط عني خمسا فرجعت إلى
موسى فقلت حط عني خمسا قال إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى
ربك فسله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى
قال يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك
خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها
كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فإن عملها

كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال
ارجع إلى ربك فسله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه **قال القاضي رحمه الله** جود ثابت
رحمه الله هذا الحديث عن أنس ما شاء ولم يأت أحد عنه بأصوب من هذا
وقد خلط فيه غيره عن أنس تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك بن أبي
نمر فقد ذكر في أوله مجيء الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا
إنما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل
أن يوحى إليه وذكر قصة الإسراء ولا خلاف أنها كانت بعد الوحي
وقد قال غير واحد إنها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا **وقد**
روى ثابت عن أنس من رواية حماد بن سلمة أيضا مجيء جبريل عليه السلام
إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه
تلك القصة مفردة من حديث الإسراء كما رواه الناس فجود في القصتين
وفي أن الإسراء إلى بيت المقدس وإلى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وأنه
وصل إلى بيت المقدس ثم عرج من هناك فأزال كل إشكال أوهمه غيره
وقد روى يونس عن ابن شهاب عن أنس قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله
من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في
صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بنا إلى السماء فذكر القصة **وروى**
قتادة الحديث بمثله عن أنس عن مالك بن صعصعة وفيه تقديم
وتأخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الأنبياء في السموات
وحديث ثابت عن أنس أتقن وأجود وقد وقعت في أحاديث الإسراء زيادات
نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا منها في حديث ابن شهاب وفيه قول
كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح إلا آدم وإبراهيم

وقف لله تعـ

دنا الاله والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى
ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الاقلام وعن انس ثم انطلق بي حتى أتيت
سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال ثم أدخلت الجنة وفي
حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما
يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من أمته الجنة أكثر مما
يدخل من أمتي وفي حديث ابي هريرة وقد رأيتني في جماعة الأ
نبياء فحانت الصلاة فأممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار
فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام وفي حديث أبي هريرة ثم سار
حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه إلى صخرة فصلى مع الملائكة فلما
قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم
الانبياء قالوا وقد أرسل إليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ وخليفة فنعم
الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا أرواح الانبياء فأثنوا على ربهم وذكر كلام
كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم السلام
ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وإن محمدا صلى الله عليه وسلم
أثنى على ربه فقال كلكم أثنى على ربه وأنا أثني على ربي الحمد لله الذي
أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل علي الفرقان
وفي رواية القرآن فيه تبيان كل شيء وجعل أمتي خير أمة وجعل أمتي أمة
وسطا وجعل أمتي هم الاولون والآخرون وشرح لي صدري ووضع عني
وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم بهذا فضلكم
محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع النبيين ثم ذكر أنه عرج به إلى السماء الدنيا
ومن سماء إلى سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود وانتهى بي إلى
سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما يعرج به من
الارض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال

وقف

قال إذ يغشى السدرة ما يغشى فقال تبارك وتعالى له سل فقال إنك اتخذت
إبراهيم خليلا وأعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما وأعطيت
داود ملكا عظيما وألنت له الحديد وأعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت
له الجن والانس والشياطين والرياح وأعطيته ملكا لا ينبغي لأحد من
بعده وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص
وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعالى
قد اتخذتك خليلا وهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وأرسلتك
إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا وجعلت أمتك هم الاولون وهم الآخرون
وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي وجعلتك
أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا وأعطيتك سبعا من المثاني ولم أعطها
نبيا قبلك وأعطيتك خواتم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم أعطها
نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما قال في الرواية الاخرى فأعطي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاثا أعطي الصلوات الخمس وأعطي خواتم سورة البقرة وغفر
لمن لا يشرك بالله شيئا من أمته المقحمات وقال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى الآيتين
رأى جبريل في صورته له ست مائة جناح وفي حديث شريك أنه رأى موسى في
السابعة قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله
فقال موسى لم أظن أن يرفع علي أحد وقد روي عن انس أنه صلى الله عليه وسلم
أنه صلى بالانبياء ببيت المقدس عليهم السلام وعن انس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا قاعد ذات يوم إذ دخل جبريل عليه السلام فوكز
بين كتفي فقمت إلى شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعد في واحدة وقعدت في الاخرى
فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين ولو شئت لمسست السماء وأنا أقلب طرفي ونظرت
جبريل كأنه حلس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح لي باب من أبواب السماء ورأيت
النور الاعظم وإذا دون الحجاب رفرف الدر والياقوت ثم أوحى الله إلي ما شاء

وقف لله

أن يتوجه وذكر البزار عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أراد الله تعالى
أن يعلم رسوله الأذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها
فاستصعبت عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد أكرم
على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى أتى بها إلى الحجاب الذي يلي الرحمن
تعالى فبينما هو كذلك إذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق إني لأقرب الخلق مكانا وإن
هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله أكبر الله أكبر
فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر ثم قال الملك أشهد
أن لا إله إلا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي أنا الله لا إله إلا أنا وذكر
مثل هذا في بقية الأذان إلا أنه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلاة حي
على الفلاح وقال ثم أخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فأم أهل
السماء فيهم آدم ونوح قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه أكمل
الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على أهل السموات والأرض قال القاضي
رضي الله عنه ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في
حق الخالق فهم المحجوبون والباري سبحانه منزه عما يحجبه إذ الحجب إنما
تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على أبصار خلقه وبصائرهم وإدراكاتهم
بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
وقوله في هذا الحديث الحجاب وإذ خرج ملك من الحجاب يجب أن يقال إنه حجاب
حجب به من وراءه من الملائكة عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته
وعجائب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن الملك الذي
خرج من ورائه إن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل أن
الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى
قال إليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون أمر الله لا يجاوزها علمهم

وأما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف أي يلي عرش الرحمن أو أمرا
ما من عظيم آياته أو مبادئ حقائق معارفه مما هو أعلم به كما قال تعالى
واسأل القرية أي أهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق أنا أكبر فظاهره
أنه سمع في هذا الموطن كلام الله ولكن من وراء حجاب كما قال وما كان
لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أي وهو لا يراه حجب بصره
عن رؤيته فإن صح القول بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فيحتمل أنه في
غير هذا الموطن بعد هذا أو قبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه والله أعلم

فصل ثم اختلف السلف والعلماء هل كان إسراء بروحه أو جسده
على ثلاث مقالات فذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالروح وأنه رؤيا
منام مع اتفاقهم أن رؤيا الأنبياء حق ووحي وإلى هذا ذهب معاوية وحكي عن
الحسن والمشهور عنه خلافه وإليه أشار ابن إسحاق وحجتهم قوله تعالى وما
جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس وما حكوا عن عائشة رضي الله
خ ما فقد عنها ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا أنا نائم وقول
أنس وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في آخرها فاستيقظت
وأنا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد
وفي اليقظة وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة وعمر
وأبي هريرة ومالك بن صعصعة وأبي حبة البدري وابن مسعود والضحاك
وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وإبراهيم
ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عائشة وهو قول الطبري
وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء
والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة كان الإسراء بالجسد
يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح واحتجوا بقوله تعالى سبحان الذي
أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فجعل المسجد الأقصى

إلى المسجد

غاية الإنكار في الوقوع والتعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي
محمد صلى الله عليه وسلم وإظهار الكرامة له بالإسراء إليه قال هؤلاء ولو كان
الإسراء بجسده إلى زائد على المسجد الأقصى لذكره فيكون أبلغ في المدح
ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس أم لا ففي حديث أنس
وغيره ما تقدم من صلاته فيه وأنكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله
ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا **قال القاضي** رضي الله عنه
والحق من هذا والصحيح إن شاء الله أنه إسراء بالجسد والروح في القصة
كلها وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر
والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة وليس في الإسراء بجسده وحال
يقظته استحالة إذ لو كان منامًا لقال بروح عبده وهو قوله تعالى ما ولم يقل بعبده
زاغ البصر وما طغى ولو كان منامًا لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما
استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافتتنوا
به إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن خبره
إنما كان عن جسمه وحال يقظته إلى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته
بالأنبياء ببيت المقدس في رواية أنس أو في السماء على ما روى غيره وذكر
مجيء جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن
معك فيقول محمد ولقائه الأنبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به
وشأنه في فرض الصلاة ومراجعته مع موسى في ذلك وفي بعض هذه الأخبار
فأخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي إلى السماء إلى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت
لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام وأنه وصل سدرة المنتهى وأنه دخل الجنة
ورأى فيها ما ذكره **قال ابن عباس** هي رؤيا عين رآها النبي صلى
الله عليه وسلم لا رؤيا منام **وعن الحسن** فيه بينا أنا نائم في الحجر جاءني
جبريل فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم أر شيئا فعدت لمضجعي فذكر

ذلك ثلاثا فقال في الثالثة فأخذ بعضدي فجرني إلى باب المسجد فإذا
بدابة وذكر خبر البراق **وعن أم هانئ** ما أسري برسول الله صلى الله
عليه وسلم إلا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشاء الآخرة ونام بيننا
فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح
وصلينا قال يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت
بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة
معكم الآن كما ترون فهذا بين في أنه بجسمه **وعن أبي بكر** رضي الله
عنه من رواية شداد بن أوس عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم
ليلة أسري به طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك فلم أجدك فأجابه أن
جبريل حمله إلى المسجد الأقصى **وعن عمر رضي الله عنه** قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة أسري بي في مقدم المسجد
ثم دخلت الصخرة فإذا بملك قائم معه آنية ثلاث وذكر الحديث
وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها **وعن
أبي ذر** عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل
جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم إلى آخر القصة ثم أخذ بيدي فعرج
بي **وعن أنس** أتيت فانطلقوا بي إلى زمزم فشرح عن صدري **وعن
أبي هريرة** عنه صلى الله عليه وسلم لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني
عن مسراي فسألتني عن أشياء لم أثبتها فكربت كربا ما كربت مثله
قط فرفعه الله لي أنظر إليه ونحوه عن جابر **وقد روي عن عمر بن
الخطاب** في حديث الإسراء عنه عليه السلام أنه قال ثم رجعت إلى
خديجة وما تحولت عن جانبها **فصل في إبطال حجج من قال إنه**
نوم مما احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا فسماها رؤيا قلنا قوله
سبحان الذي أسرى بعبده لأنه لا يقال في النوم أسرى وقوله فتنة للناس

يؤيد أنها رؤيا عين وإسراء بشخص إذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب
به أحد لأن كل أحد يرى مثل هذا في منامه من الكون في ساعة واحدة
في أقطار متباينة على أن المفسرين قد اختلفوا في هذه الآية **فذهب**
بعضهم إلى أنها نزلت في قضية الحديبية وما وقع في نفوس الناس من
ذلك وقيل غير هذا. وأما قولهم إنه قد سماها في الحديث مناما
وقوله في حديث آخر بين النائم واليقظان وقوله أيضا وهو نائم **وقوله**
ثم استيقظت فلا حجة فيه إذ قد يحتمل أن أول وصول الملك إليه كان وهو — الملك إليه
نائم أو أول حمله والإسراء به وهو نائم وليس في الحديث أنه كان نائما في
القصة كلها إلا ما يدل عليه ثم استيقظت وأنا في المسجد الحرام فلعل قوله — كلها
استيقظت بمعنى أصبحت واستيقظت من نوم آخر بعد وصوله بيته ويدل
عليه أن مسراه لم يكن طول ليله وإنما كان في بعضه وقد يكون قوله
استيقظت وأنا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجائب ما طالع من ملكوت
السموات والأرض وخامر باطنه من مشاهدة الملإ الأعلى وما رأى من
آيات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع إلى حال البشرية إلا وهو بالمسجد
الحرام **ووجه ثالث** أن يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى
لفظه ولكنه أسري بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الأنبياء حق عليهم السلام
تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم **وقد مال** بعض أهل الإشارات إلى نحو
من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله ولا يصح
أن يكون هذا في وقت صلاته بالأنبياء ولعله كانت له في هذا الإسراء
حالات. ووجه رابع وهو أن يعبر بالنوم هاهنا عن هيئة النائم من
الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا أنا نائم
وربما قال مضطجع وقوله في رواية هدبة عنه بينا أنا في الحطيم وربما
قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الأخرى بين النائم واليقظان

يعني

فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم
إلى أن هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة
في هذا الحديث إنما هي من رواية شريك عن أنس فهي منكرة من روايته
إذ شق البطن في الأحاديث الصحيحة إنما كان في صغره صلى الله عليه وسلم
وقبل النبوة ولأنه قال في الحديث قبل أن يوحى إليه والإسراء بإجماع كان
بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية أنس مع أن أنسا قد بين من
غير طريق أنه إنما رواه عن غيره وأنه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم
وقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة
على الشك وقال مرة كان أبو ذر يحدث **وأما قول عائشة** ما فقدت
جسده فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لأنها لم تكن حينئذ زوجه ولا في
سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الإسراء متى كان
فإن الإسراء كان في أول الإسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد البعث
بعام ونصف **وكانت عائشة** في الهجرة بنت نحو ثمانية أعوام
وقد قيل كان الإسراء لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام والأشبه
أنه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فإذا لم تشاهد ذلك
عائشة دل أنها حدثت ذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها
وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث أم هانئ وغيره وما ذكرت
فيه خديجة وأيضا فقد روي في حديث عائشة ما فقدت ولم يدخل بي النبي
صلى الله عليه وسلم إلا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح
قولها أنه بجسده لإنكارها أن تكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت
عندها مناما لم تنكره **فإن قيل** فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى وقد
جعل ما رآه للقلب وهذا يدل على أنها رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين
وحس. قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد أضاف الأمر

إلى النص. وقد قال أهل التفسير في قوله ما كذب الفؤاد ما رأى لم يوهم
القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها. وقيل ما أنكر قلبه ما رأته عينه

فصل وأما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه جل وعز فاختلف السلف
فيها فأنكرته عائشة. نا أبو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ
بقراءتي عليه قال حدثني أبي وأبو عبد الله بن عتاب الفقيه قال حدثنا القاضي
يونس بن مغيث نا أبو الفضل الصقلي نا ثابت عن قاسم بن ثابت عن أبيه وجده
قالا نا عبد الله بن علي نا محمد بن آدم نا وكيع عن ابن أبي خالد عن عامر بن مسروق
أنه قال لعائشة يا أم المومنين هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه فقالت لقد
قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى
ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار الآية وذكر الحديث. وقالت
جماعة بقول عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن أبي هريرة
أنه إنما رأى جبريل واختلف عنه وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا
جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس أنه رآه بعينه.
وروى عطاء عنه رآه بقلبه وعن أبي العالية عنه رآه بفؤاده
مرتين وذكر ابن إسحاق أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس يسأله هل رأى محمد صلى الله
عليه وسلم ربه فقال نعم والأشهر عنه أنه رأى ربه بعينه روي ذلك عنه من طرق
وقال إن الله تعالى اختص موسى بالكلام وإبراهيم بالخلة ومحمدا صلى الله
عليه وسلم بالرؤية وحجته قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما
يرى ولقد رآه نزلة أخرى. قال الماوردي قيل إن الله تعالى قسم كلامه
ورؤيته بين موسى ومحمد فرآه محمد صلى الله عليه وسلم مرتين وكلمه موسى
مرتين وحكى أبو الفتح الرازي وأبو الليث السمرقندي الحكاية عن
كعب وروى عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال
ابن عباس أما نحن بنو هاشم فنقول إن محمدا قد رأى ربه مرتين فكبر كعب

حتى جاوبته الجبال وقال إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد صلى الله عليه وسلم
وموسى ورآه محمد بقلبه. وروى شريك عن أبي ذر في تفسير الآية قال
رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب
القرظي وربيع بن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته
بفؤادي ولم أره بعيني. وروى مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ
الأعلى الحديث وحكى عبد الرزاق أن الحسن كان يحلف بالله لقد
رأى محمد ربه وحكاه أبو عمر الطلمنكي عن عكرمة. وحكى بعض المتكلمين
هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن إسحاق أن مروان سأل أبا هريرة
هل رأى محمد ربه فقال نعم. وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال أنا أقول
بحديث ابن عباس بعينه رآه رآه حتى انقطع نفسه يعني نفس أحمد وقال
أبو عمر قال أحمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالأبصار
وقال سعيد بن جبير لا أقول رآه ولا لم يره وقد اختلف في تأويل الآية
عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة
رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل وحكى عبد الله بن أحمد
بن حنبل عن أبيه أنه قال رآه. وعن ابن عطاء في قوله تعالى ألم نشرح لك
صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام. وقال أبو
الحسن علي بن إسماعيل الأشعري وجماعة من أصحابه أنه صلى الله عليه وسلم
رأى الله تعالى ببصره وعيني رأسه. وقال كل آية أوتيها نبي من الأنبياء عليهم
السلام فقد أوتي مثلها نبينا صلى الله عليه وسلم وخص من بينهم بتفضيل
الرؤية ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه
جائز أن يكون

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه
والحق الذي لا امتراء فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل

وقف لله سبحانه وتعالى

موسى

ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى لها ومحال أن
يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسأل إلا جائزا
غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا من
علمه الله تعالى فقال له الله لن تراني أي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم
ضرب له مثلا مما هو أقوى من بنية موسى وأثبت وهو الجبل وكل هذا
ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في
الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها إذ كل موجود فرؤيته
جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله لا تدركه
الأبصار لاختلاف التأويلات في الآية وأنه ليس يقتضي قول من قال
في الدنيا بالاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز
الرؤية وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه أبصار الكفار
وقيل لا تدركه الأبصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل
لا تدركه الأبصار وإنما يدركه المبصرون وكل هذه التأويلات لا تقتضي
منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني الآية
وقوله تبت إليك لما قدمناه ولأنها ليست على العموم ولأن من قال معناه
لن تراني في الدنيا إنما هو تأويل وأيضا فليس فيه نص الامتناع وإنما جاء
في حق موسى وحيث تتطرق التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس
للقطع إليه سبيل وقوله تبت إليك أي من سؤالي ما لم تقدره وقد
قال أبو بكر الهذلي في قوله لن تراني أي ليس لبشر أن يطيق أن ينظر إلي
في الدنيا وأنه من نظر إلي مات وقد رأيت لبعض [illegible]
المتأخرين ما معناه أن رؤيته تعالى ممتنعة لضعف تركيب [illegible]
وقواهم وكونها متغيرة عرضا للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة
على الرؤية فإذا كانوا في الآخرة وركبوا تركيبا آخر

51

وقف لله سبحانه وتعالى

ثابتة باقية وأتم أنوار أبصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية **وقد**
رأيت نحو هذا للشيخ مالك بن أنس رحمه الله قال لم ير في الدنيا لأنه
باق ولا يرى الباقي بالفاني فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصارا باقية
رئي الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة
إلا من حيث ضعف القدرة فإذا قوى الله من يشاء من عباده وأقدره
على حمل أعباء الرؤية لم يمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر
موسى ومحمد عليهما السلام ونفوذ إدراكهما بقوة إلهية منحاها
لإدراك ما أدركاه ورؤية ما رأياه والله أعلم **وقد ذكر القاضي**
أبو بكر في أثناء أجوبته عن الآيتين ما معناه أن موسى عليه السلام
رأى الله تعالى فلذلك خر صعقا وأن الجبل رأى ربه فصار دكا بإدراك
خلقه الله له واستنبط ذلك والله أعلم من قوله ولكن انظر إلى الجبل
فإن استقر مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله
دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه على
هذا القول **وقال جعفر بن محمد** شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك
لمات صعقا بلا إفاقة وقوله هذا يدل على أن موسى رآه **وقد**
وقع لبعض المفسرين في الجبل أنه رآه وبها استدل من قال برؤية محمد
نبينا صلى الله عليه وسلم له إذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز
إذ ليس في الآيات نص بالمنع **وأما وجوبه لنبينا عليه السلام**
والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضا ولا نص إذ المعول فيه على
آيتي النجم والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن ولا أثر قاطع
متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر عن
اعتقاده لم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه
ومثله حديث أبي ذر في تفسير الآية وحديث معاذ محتمل للتأويل

وهو مصحف في الاسناد والمتن وحديث ابي ذر الآخر مختلف محتمل
مشكل يروى نور انى اراه وحكى بعض شيوخنا انه روي نوراني
اراه وفي حديثه الآخر سالته فقال رايت نورا وليس يمكن الاحتجاج
بواحد منها على صحة الرؤية فان كان الصحيح رايت نورا فهو قد اخبر
انه لم ير الله وانما راى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله والى هذا يرجع قوله
نور انى اراه اي كيف اراه مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل ما جاء
في الحديث الآخر حجابه النور وفي الحديث الآخر لم اره بعيني ولكن
رايته بقلبي مرتين ثم تلا ثم دنا فتدلى والله قادر على خلق الادراك الذي في البصر
في القلب او كيف شاء لا اله غيره فان ورد حديث نص بين في الباب اعتقد
ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله الموفق
تعالى **فصل واما ما ورد في هذه القصة** من مناجاته لله تعالى
وكلامه معه بقوله فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث
فاكثر المفسرين على ان الموحى الله الى جبريل وجبريل الى محمد عليهما السلام
الا شذوذا منهم **فذكر عن جعفر بن محمد الصادق** قال اوحى الله
اليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي والى هذا ذهب بعض المتكلمين
ان محمدا صلى الله عليه وسلم كلم ربه في الاسراء وحكي عن الاشعري
وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وانكره آخرون **وذكر النقاش**
عن ابن عباس في قصة الاسراء عنه صلى الله عليه وسلم في قوله دنا
فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الاصوات عني فسمعت كلام
ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن وفي حديث انس في الاسراء
نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا
وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فقالوا
هي ثلاثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى وبارسال الملائكة

كحال جميع الانبياء واكثر احوال نبينا صلى الله عليه وسلم والثالث قوله
وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة مع المشاهدة
وقد قيل الوحي هاهنا هو ما يلقيه في قلب النبي صلى الله عليه وسلم
دون واسطة **وقد ذكر ابو بكر البزار** عن علي في حديث الاسراء
ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله تعالى من الآية
فذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لي من وراء الحجاب صدق
عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات الاذان مثل ذلك **ويجيء**
الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي
اول فصل من الباب منه وكلام الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن اختصه
من انبيائه جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فان صح في
ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى كائن حق مقطوع به نص
ذلك في الكتاب واكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما
ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا صلى الله
عليه وسلم فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام فكيف
يستحيل في حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء
وجعل بعضهم فوق بعض درجات **فصل** واما ما ورد في حديث
الاسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله دنا فتدلى فكان قاب
قوسين او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد
وجبريل عليهما السلام او مختص باحدهما من الآخر او من السدرة المنتهى
قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا
قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد اي قرب **وحكى مكي**
والماوردي عن ابن عباس هو الرب دنا من محمد فتدلى اليه اي امره وحكمه
وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم

قدر الى وحي الله قال الامام ... اوتيه من قدرته وعظمته قال وقال ابن
عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد ليلة المعراج فجلس عليه
ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات وسمعت
كلام ربي **وعن انس** في الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنا
الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما
شاء واوحى اليه خمسين صلاة وذكر حديث الاسراء **وعن محمد بن
كعب** القرظي هو محمد صلى الله عليه وسلم دنا من ربه فكان قاب قوسين
وقال جعفر بن محمد ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال
جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود وقال ايضا
انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا
محمد صلى الله عليه وسلم الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه
الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب **قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله تعالى اعلم** ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله
او الى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر
الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه
منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار
غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وتانيس وبسط واكرام ويتاول فيه ما
يتاول في قوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال
واجمال وقبول واحسان **قال الواسطي** من توهم انه بنفسه دنا جعل
ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني عن درك حقيقته
اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير
عائدا الى الله تعالى لا الى جبريل كان على هذا عبارة عن نهاية القرب ولطف
المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم

وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفي وانافة المنزلة
والمرتبة من الله له ويتاول فيه ما يتاول في قوله تعالى من تقرب مني
شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة
والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المامول

فصل في ذكر تفضيله في القيامة بخصوص الكرامة

حدثنا القاضي ابو علي انا ابو الفضل وابو الحسين انا ابو
يعلى انا السنجي انا ابو محبوب انا الترمذي انا الحسين بن يزيد
الكوفي انا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن انس عن انس
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس
خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا
لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وفي رواية ابن
زحر عن الربيع عن انس في لفظ هذا الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا
وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا
وانا مبشرهم اذا ابلسوا لواء الكرم بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي
ولا فخر ويطوف علي الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون **وعن ابي
هريرة** رضي الله عنه انا سيد ولد ادم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا
فخر وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض
ولا فخر **وعن ابي هريرة** رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم
يوم القيامة وانا اول من تنشق عنه القبر واول شافع واول مشفع **وعن ابن عباس**
رضي الله عنه انا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع
ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فادخلها ومعي فقراء المؤمنين
ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر **وعن انس** رضي الله عنه انا اول

الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الناس تبعا **وعن أبي هريرة** رضي الله عنه
قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا سيد الناس يوم القيامة وتدرون لم ذاك
يجمع الله الأولين والآخرين وذكر حديث الشفاعة **وعن أبي**
هريرة رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال أطمع أن أكون
أعظم الأنبياء أجرا يوم القيامة وفي حديث آخر أما ترضون أن
يكون إبراهيم وعيسى فيكم يوم القيامة ثم قال إنهما في أمتي يوم القيامة
أما إبراهيم فيقول أنت دعوتي وذريتي فاجعلني من أمتك وأما عيسى
فالأنبياء إخوة بنو علات أمهاتهم شتى وإن عيسى أخي ليس بيني وبينه
نبي وأنا أولى الناس به **قوله أنا سيد الناس** يوم القيامة هو سيدهم في
الدنيا ويوم القيامة ولكن أشار عليه السلام لانفراده فيه بالسؤدد
والشفاعة دون غيره إذ لجأ إليه الناس في ذلك فلم يجدوا سواه والسيد
هو الذي يلجأ إليه الناس في حوائجهم فكان حينئذ سيدا منفردا
من بين البشر لم يزاحمه أحد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار والملك له سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة
لكن في الآخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا وكذلك لجأ
إلى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الأخرى
دون دعوى **وعن أنس** رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة
يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت لا أفتح
لأحد قبلك **وعن عبد الله بن عمرو** رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي
مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك كيزانه كنجوم
السماء من شرب منه لم يظمأ أبدا **وعن أبي ذر** رضي الله عنه نحوه وقال طوله ما بين عمان إلى أيلة يغت
فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان رضي الله عنه مثله وقال أحدهما من ذهب والآخر من ورق وفي رواية
حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعا

وصنعا **وقال ابن عمر** كما بين الكوفة والحجر الأسود **وروى**
حديث الحوض أيضا أنس وجابر وسمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة
بن وهب الخزاعي والمستورد وأبو برزة الأسلمي وحذيفة بن اليمان
وأبو أمامة وزيد بن أرقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد
وسويد بن جبلة وعبد الله الصنابحي وأبو سعيد الخدري وأبو هريرة والبراء
وجندب وعائشة وأسماء بنت أبي بكر وأبو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم

فصل في تفضيله بالمحبة والخلة **جاءت بذلك** الآثار الصحيحة
واختص صلى الله عليه وسلم على ألسنة المسلمين بحبيب الله **حدثنا** أبو
القاسم بن إبراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت محمد نا أبو الهيثم وحدثنا
حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه نا القاضي أبو الوليد نا عبد بن أحمد نا أبو
الهيثم نا أبو عبد الله محمد بن يوسف نا محمد بن إسماعيل نا عبد الله بن محمد نا أبو
عامر نا فليح نا أبو النضر عن بسر بن سعيد عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر وفي حديث آخر
وإن صاحبكم خليل الله. ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله
صاحبكم خليلا **وعن ابن عباس** قال جلس ناس من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون
فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا إن الله اتخذ من خلقه خليلا وقال آخر ما
ذا بأعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله
وروحه وقال آخر وآدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت
كلامكم وعجبكم إن الله اتخذ إبراهيم خليلا وهو كذلك وموسى
نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه
الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم
القيامة وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة

فيفتح الله لي بابها فيدخلنيها ومعي فقراء المومنين ولا فخر وأنا أكرم الا
ولين والاخرين ولا فخر. وفي حديث أبي هريرة مرفوعا قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام
إني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التوراة أنت حبيب الرحمن. قال
القاضي أبو الفضل رضي الله عنه اختلف في تفسير الخلة وأصل
اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع إلى الله الذي ليس في انقطاعه إليه ومحبته
له اختلال. وقيل الخليل المختص واختار هذا القول غير واحد. وقال
بعضهم أصل الخلة الاستصفاء وسمي إبراهيم خليل الله لأنه يوالي
فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره وجعله إماما لمن بعده. وقيل الخليل
أصله الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي بها
إبراهيم لأنه قصر حاجته على ربه وانقطع إليه بهمه ولم يجعله قبل غيره
إذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى في النار فقال ألك حاجة قال أما
إليك فلا. وقال أبو بكر بن فورك الخلة صفاء المودة التي توجب
الاختصاص بتخلل الأسرار. وقال بعضهم أصل الخلة المحبة ومعناها
الإسعاف والإلطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك تعالى في كتابه
بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم
بذنوبكم فأوجب للمحبوب أن لا يواخذ بذنوبه. قال هذا والخلة أقوى
من البنوة لأن البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال تعالى إن من أزواجكم
وأولادكم عدوا لكم ولا يصح أن تكون عداوة مع الخلة. فإذا
تسمية إبراهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة إما بانقطاعهما إلى الله
ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والإضراب عن
الوسائط والأسباب أو لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي ألطافه
عندهما وما خالل بواطنهما من الأسرار الإلاهية ومكنون غيوبه
ومعرفته أو لاستصفائه لهما واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم

يخاللهما حب لغيره. ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه
وهو عندهم معنى قوله عليه السلام لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا
بكر خليلا لكن أخوة الإسلام. واختلف العلماء وأرباب القلوب
أيهما أرفع درجة الخلة أو درجة المحبة فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون
الحبيب إلا خليلا ولا الخليل إلا حبيبا لكنه خص إبراهيم بالخلة ومحمدا
بالمحبة. وبعضهم قال درجة الخلة أرفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم
لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد أطلق المحبة عليه السلام
لفاطمة وابنيها وأسامة وغيرهم وأكثرهم جعل المحبة أرفع من الخلة
لأن درجة الحبيب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أرفع من درجة الخليل إبراهيم
وأصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح
الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق. فأما الخالق جل جلاله
فمنزه عن الأعراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه
وتهيئة أسباب القرب وإفاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب
عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر إليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث
فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي
ينطق به ولا ينبغي أن يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع إلى
الله والإعراض عن غير الله وصفاء القلب لله وإخلاص الحركات لله
كما قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه
ويسخط بسخطه. ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني ... وبذا سمي الخليل خليلا
فإذا ما نطقت كنت حديثي ... وإذا ما سكت كنت الغليلا

فإذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم
على ما دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقات بالقبول من

الا وكفى بقوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله الآية حكى أهل التفسير أن هذه الآية لما نزلت قال الكفار
إنما يريد محمد أن نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فأنزل الله تعالى
غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الآية قل أطيعوا الله والرسول فزاده
شرفا بأمرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه
بقوله فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين وقد نقل الإمام أبو بكر
ابن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة بكلام
يطول جملة إشارته إلى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه
طرفا يهدي إلى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من
قوله وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض والحبيب
يصل إليه به من قوله عز وجل فكان قاب قوسين أو أدنى وقيل الخليل
الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي
والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك الآية والخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله
النبي فابتدئ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة حسبي
الله والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك أعطي بلا سؤال والخليل
قال واجنبني وبني أن نعبد الأصنام والحبيب قيل له إنما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد
أصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والأحوال وكل يعمل على
شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا فصل في تفضيله
بالشفاعة والمقام المحمود قال الله تعالى عسى أن يبعثك ربك
مقاما محمودا حدثنا الشيخ أبو علي الغساني الحافظ فيما كتب
به إلي بخطه حدثنا سراج بن عبد الله القاضي قال نا محمد بن إسماعيل

وفق الله تعالى

٥٦

البخاري نا إسماعيل بن أبان نا أبو الأحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن
عمر يقول إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل أمة تتبع نبيها
يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة إلى
النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن
أبي هريرة سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى
أن يبعثك ربك مقاما محمودا فقال هي الشفاعة ونحوه عن كعب والحسن
وروى كعب بن مالك عنه عليه السلام يحشر الناس يوم
القيامة فأكون أنا وأمتي على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم
يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود وعن ابن
عمر وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ
يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود عنه عليه السلام
أنه قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الأولون
والآخرون ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية هو المقام الذي أشفع
لأمتي فيه وعن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لقائم
المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى العرش
وعن أبي موسى عنه صلى الله عليه وسلم خيرت بين أن يدخل نصف أمتي
الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لأنها أعم أترونها للمتقين
لكنها للمذنبين الخاطئين وعن أبي هريرة قلت يا رسول الله ماذا
رد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصا يصدق
لسانه قلبه وعن أم حبيبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريت
ما تلقى أمتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما
سبق للأمم قبلهم فسألت الله أن يؤتيني الشفاعة يوم القيامة فيهم
ففعل قال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعون

وفق الله تعالى

الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم
نفس إلا بإذنه فيناديه محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك
والشر ليس إليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك ولك وإليك
لا منجا ولا ملجأ منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت
قال فذلك المقام المحمود الذي ذكره الله تعالى **وقال ابن عباس**
إذا دخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة فتبقى آخر زمرة من الجنة
وآخر زمرة من النار فتقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم إيمانكم
فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم أهل الجنة فيسألون آدم وغيره
بعده في الشفاعة لهم فكلهم يعتذر حتى يأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم
فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود أيضا ومجاهد
وذكره علي بن الحسين عن النبي عليه السلام **وقال جابر بن
عبد الله** ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد يعني الذي يبعثه الله فيه قلت
نعم قال فإنه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار وذكر حديث
الشفاعة في إخراج الجهنميين وعن أنس نحوه وقال فهذا المقام
المحمود الذي وعده وعن سلمان المقام المحمود هو الشفاعة في أمته يوم
القيامة وقال قتادة كان أهل العلم يرون المقام المحمود هو شفاعته
يوم القيامة وعلى أن المقام المحمود هو مقامه عليه السلام للشفاعة
مذاهب السلف والصحابة والتابعين وعامة أئمة المسلمين وبذلك جاءت
مفسرة في صحيح الأخبار عنه عليه السلام وجاءت مقالة في تفسيرها
شاذة عن بعض السلف يجب ألا تثبت إذ لم يعضدها صحيح أثر ولا سند
قوي ولو صحت لكان لها تأويل غير مستنكر لاكن ما فسره النبي صلى
الله عليه وسلم في صحاح الآثار زيدة فلا يجب أن يلتفت إليه مع أنه لم يأت
به كتاب ولا سنة ولا اتفق على المقالة به أئمة ولا في إطلاق ظاهره منكر

من القول وشفعه وفي رواية أنس وأبي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم
في حديث بعض **وقال عليه السلام** يجمع الله الأولين والآخرين
يوم القيامة فيهتمون أو قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا ومن
طريق عنه ماج الناس بعضهم في بعض **وعن أبي هريرة** وتدنو
الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون ألا
تنظرون من يشفع لكم فيأتون آدم فيقولون زاد بعضهم أنت آدم
أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسكنك جنته وأسجد
لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا
من مكاننا ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي
نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون أنت
أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبدا شكورا ألا ترى ما نحن
فيه ألا ترى ما بلغنا ألا تشفع لنا إلى ربك فيقول إن ربي غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال
في رواية أنس ويذكر خطيئته التي أصاب سؤاله ربه بغير علم وفي
رواية أبي هريرة وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا إلى غيري
اذهبوا إلى إبراهيم فإنه خليل الله فيأتون إبراهيم فيقولون أنت نبي الله
وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن
ربي قد غضب اليوم غضبا ويذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسي نفسي
فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله وفي رواية فإنه
عبد آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون موسى فيقول
لست لها ويذكر خطيئته التي أصاب في قتله النفس نفسي نفسي ولكن
عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست

لها ولا كلكم محمد عبد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فأقول أنا لها فأنطلق فأستأذن على ربي فيأذن لي فإذا رأيته وقعت ساجدا وفي رواية أخرى فآتي تحت العرش فأخر ساجدا فأقوم وفي رواية فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليها إلا أن يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي قال في رواية أبي هريرة فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول يا رب أمتي يا رب أمتي فيقول أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ولم يذكر في رواية أنس هذا الفصل وفي رواية وقال مكانه ثم أخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فأقول رب أمتي أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه فأنطلق فأفعل ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد وذكر مثل الأول وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فأفعل ثم أرجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل فأفعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لي ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله قال ليس ذلك إليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله ومن رواية قتادة عنه قال فلا أدري في الثالثة أو الرابعة فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود وعن أبي بكر وعقبة بن عامر وأبي سعيد وحذيفة مثله قال فيأتون محمدا فيقوم فيؤذن له وتأتي الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط **وذكر في رواية أبي مالك** عن حذيفة فيأتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون أولهم كالبرق ثم كالريح

والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر آخرهم جوازا الحديث وفي رواية أبي هريرة فأكون أول من يجوز **وعن ابن عباس** عنه صلى الله عليه وسلم ينصب للأنبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا أجلس عليه قائم بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد أن أصنع بأمتك فأقول يا رب عجل حسابهم فيدعى لهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا أزال أشفع حتى أعطى صكاكا برجال قد أمر بهم إلى النار حتى إن خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في أمتك من نقمة ومن طريق زياد النميري عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا أول من تنشق الأرض عن جمجمته ولا فخر وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيامة وأنا أول من يفتح له الجنة ولا فخر فآتي فآخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فأقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى فأخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم **ومن رواية أنس** سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأشفعن يوم القيامة لأكثر مما في الأرض من حجر وشجر **وقد اجتمع** من اختلاف ألفاظ هذه الآثار أن شفاعته عليه السلام ومقامه المحمود من أول الشفاعات إلى آخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لإراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن أبي هريرة وحذيفة وهذا الحديث أتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من أمته إلى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسب ما تقتضيه الأحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا إله إلا الله وليس هذا لسواه عليه السلام **وفي الحديث المنتشر الصحيح** لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت

دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة. قال أهل العلم معناه دعوة
أُعلم أنها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم وإلا فكم لكل نبي منهم
من دعوة مستجابة ولنبينا منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء بها بين
الرجاء والخوف وضمنت لهم إجابة دعوة فيما شاءوه يدعون بها على يقين من
الإجابة. وقد قال محمد بن زياد وابن صالح عن أبي هريرة في هذا الحديث
لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له وأنا أريد إن شاء الله أن أؤخر دعوتي
شفاعة لأمتي يوم القيامة. فتعجل كل نبي دعوته. ونحوه في رواية أبي زرعة
عن أبي هريرة وعن أنس مثل رواية ابن زياد عن أبي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة
مخصوصة بالأمة مضمونة الإجابة وإلا فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه سأل
لأمته أشياء من أمور الدين والدنيا أعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه
الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤال والرغبة. جزاه الله أحسن
ما جزى نبيا عن أمته وصلى الله عليه وسلم تسليما. فصل في تفضيله في
الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة. حدثنا القاضي
أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد بقراءتي عليهما
قالا ثنا أبو علي الغساني ثنا النمري ثنا ابن عبد المؤمن ثنا أبو بكر التمار ثنا أبو داود
ثنا محمد بن سلمة ثنا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن أيوب عن كعب بن
علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى
الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه
من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة
في الجنة. وعن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا أسير في الجنة
إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ. قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر
الذي أعطاكه الله قال ثم ضرب بيده إلى طينته فاستخرج منه مسكا. وعن عائشة
وعبد الله بن عمرو مثله قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه أحلى من العسل

وأبيض من الثلج. وفي رواية عنه فإذا هو يجري ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه
أمتي. وذكر حديث الحوض. ونحوه عن ابن عباس. وعن ابن عباس أيضا
قال الكوثر الخير الذي أعطاه الله إياه. قال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من
الخير الذي أعطاه. وعن حذيفة فيما ذكر عنه عليه السلام عن ربه وأعطاني
الكوثر نهرا من الجنة يسيل في حوضي. وعن ابن عباس في قوله تعالى ولسوف
يعطيك ربك فترضى قال ألف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن
وفي رواية أخرى وفيه ما ينبغي له من الأزواج والخدم. فصل. فإن قلت
إذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الأثر وإجماع الأمة كونه أكرم البشر
وأفضل الأنبياء فما معنى الأحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل كقوله فيما
حدثناه الأسدي قال حدثنا السمرقندي ثنا الفارسي ثنا الجلودي ثنا
ابن سفيان ثنا مسلم ثنا ابن مثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة سمعت أبا
العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى. وفي غير
هذا الطريق عن أبي هريرة يعني الله ما ينبغي لعبد الحديث. وفي حديث أبي هريرة
في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الأنصار
قال تقول ذلك ورسول الله بين أظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لا تفضلوا بين الأنبياء. وفي رواية لا تخيروني على موسى فذكر
الحديث وفيه ولا أقول إن أحدا أفضل من يونس بن متى. وعن أبي هريرة
من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب. وعن ابن مسعود لا يقولن
أحدكم أنا خير من يونس بن متى. وفي حديثه الآخر فجاءه رجل فقال يا خير
البرية فقال ذاك إبراهيم. فاعلم أن للعلماء في هذه الأحاديث
تأويلات أحدها أن نهيه عن التفضيل كان قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم
فنهى عن التفضيل إذ يحتاج إلى توقيف وأن من فضل بلا علم فقد كذب

وكذلك قوله لا أقول إن أحدا أفضل منه لا يقتضي تفضيله هو وإنما
هو في الظاهر كف عن التفضيل. الوجه الثاني أنه قاله صلى الله عليه
وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض
الوجه الثالث أن لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي إلى تنقص بعضهم أو
الغض منه لا سيما في جهة يونس عليه السلام إذ أخبر الله عنه بما أخبر
لئلا يقع في نفس من لا يعلم غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة إذ قال
تعالى عنه إذ أبق إلى الفلك المشحون وكذا أن لن نقدر عليه فربما تخيل من لا
علم عنده حطيطته بذلك. الوجه الرابع منع التفضيل في حق النبوة
والرسالة فإن الأنبياء فيها على حد واحد إذ هي شيء واحد لا تتفاضل وإنما
التفاضل في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والرتب والألطاف
وأما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وإنما التفاضل بأمور أخر زائدة عليها
ولذلك منهم رسل ومنهم أولو عزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا
ومنهم من أوتي الحكم صبيا وأوتي بعضهم الزبور وبعضهم البينات ومنهم من
كلم الله ورفع بعضهم درجات. قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض الآية وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية.
قال بعض أهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة
أحوال أن تكون آياته ومعجزاته أظهر وأشهر أو تكون أمته أزكى وأكثر
أو أن يكون في ذاته أفضل وأظهر وفضله في ذاته راجع إلى ما خصه الله به
من كراماته واختصاصه من كلام أو خلة أو رؤية أو ما شاء الله من ألطافه
وتحف ولايته واختصاصه وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن للنبوة
أثقالا وإن يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع
الفتنة من أوهام من يسبق إليه بسببها جرح في نبوته أو قدح في اصطفائه
وحط من رتبته ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على أمته

وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو أن يكون أنا راجعا إلى
القائل نفسه أي لا يظن أحد وإن بلغ من الذكاء والعصمة والطهارة ما
بلغ أنه خير من يونس لأجل ما حكى الله تعالى عنه فإن درجة النبوة أفضل
وأعلى وإن تلك الأقدار لم تحطه عنها حبة خردل ولا أدنى وسنزيد في
القسم الثالث في هذا بيانا إن شاء الله تعالى فقد بان لك الغرض وسقطت بما
حررناه شبهة المعترض **فصل في أسمائه عليه السلام** وما تضمنته
من فضيلته. **حدثنا** أبو عمران موسى بن أبي تليد الفقيه قال نا أبو
عمر الحافظ نا سعيد بن نصر نا قاسم بن أصبغ نا محمد بن وضاح نا يحيى نا
مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لي خمسة أسماء **أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي** الذي يمحو الله
بي الكفر **وأنا الحاشر** الذي يحشر الناس على قدمي **وأنا العاقب** وقد
سماه الله في كتابه محمدا وأحمد **فمن خصائصه** تعالى له أن ضمن أسماءه
ثناءه وطوى أثناء ذكره عظيم شكره **فأما اسمه أحمد** فأفعل مبالغة
من صفة الحمد **ومحمد** مفعل مبالغة من كثرة الحمد **فهو صلى الله عليه
وسلم** أجل من حمد وأفضل من حمد وأكثر الناس حمدا فهو أحمد المحمودين
وأحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيامة ليتم له كمال الحمد ويتشهر
في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما
وعده يحمده فيه الأولون والآخرون بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من
المحامد كما قال عليه السلام ما لم يعط غيره وسمى أمته في كتب
أنبيائه بالحمادين **فحقيق** أن يسمى محمدا وأحمد ثم في هذين الاسمين
من عجائب خصائصه وبدائع آياته فن آخر هو أن الله جل اسمه حمى أن يسمى
بهما أحد قبل زمانه أما أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء فمنع الله
تعالى بحكمته أن يسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل

وقف لله سبحانه وتعالى

لبس على ضعيف القلب أو شك وكذلك محمد أيضا لم يسم به أحد من
العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده عليه السلام وميلاده أن نبيا يبعث
اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو
والله أعلم حيث يجعل رسالاته. وهم محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسي ومحمد
بن مسلمة الأنصاري ومحمد بن البراء البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع
ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم. ويقال أول
من سمي محمد محمد بن سفيان واليمن تقول بل محمد بن اليحمد من الأزد ثم
حمى الله كل من تسمى به أن يدعي النبوة أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه
سبب يشكك أحدا في أمره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم
ولم ينازع فيهما وأما قوله عليه السلام وأنا الماحي الذي يمحو الله
بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو الكفر إما من مكة وبلاد العرب
وما زوي له من الأرض ووعد أنه يبلغه ملك أمته أو يكون المحو عاما بمعنى
الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله وقد ورد تفسيره في
الحديث أنه الذي محيت به سيئات من اتبعه وقوله وأنا الحاشر
الذي يحشر الناس على قدمي أي على زماني وعهدي أي ليس بعدي نبي كما قال
تعالى وخاتم النبيين وسمي عاقبا لأنه عقب غيره من الأنبياء وفي
الصحيح وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي وقيل معنى على قدمي
أي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس ١٠
ويكون الرسول عليكم شهيدا ومعنى قوله في خمسة أسماء قيل ٢
إنها موجودة في الكتب المتقدمة وعند أولي العلم من الأمم السالفة
والله أعلم وقد روي عنه عليه السلام في عشرة أسماء وذكر
منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض تفاسير طه إنه يا طاهر
يا هادي وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد

وقف لله سبحانه وتعالى

وقف لله سبحانه وتعالى

وذكر منها في عشرة أسماء ذكر منها الخمسة التي في الحديث الأول قال وأنا رسول
الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وأنا المقفى قفيت النبيين وأنا قيم
والقيم الجامع الكامل قال القاضي رضي الله عنه كذا وجدته ولم
أروه وأرى أن صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو أشبه بالتفسير
وقد وقع في كتب الأنبياء قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا
مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروى النقاش عنه عليه السلام
لي في القرآن سبعة أسماء محمد وأحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله
وفي حديث عن جبير بن مطعم هي ست محمد وأحمد وخاتم وحاشر وعاقب
وماح وفي حديث أبي موسى الأشعري أنه كان عليه السلام يسمي
لنا نفسه أسماء فيقول أنا محمد وأحمد والمقفى والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة
ويروى المرحمة والرحمة والراحة وكل صحيح إن شاء الله. ومعنى المقفى
معنى العاقب وقيل المتبع للنبيين وأما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة
فقد قال الله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وكما وصفه تعالى بأنه يزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤوف
رحيم وقد قال في صفة أمته عليه السلام إنها أمة مرحومة وقال
تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أي يرحم بعضهم بعضا فبعثه
عليه السلام تعالى رحمة لأمته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما مستغفرا
لهم وجعل أمته مرحومة ووصفها بالرحمة وأمرها بالتراحم وأثنى عليه
فقال إن الله يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الله يوم القيامة ارحموا
من في الأرض يرحمكم من في السماء وأما رواية نبي الملحمة فإشارة
إلى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة. وروى
حذيفة مثل حديث أبي موسى وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم
وروى الحربي في حديثه عليه السلام قال أتاني ملك فقال أنت قثم أي

مجمع قال والمفهوم الجامع المحيي وهذا الاسم هو في كتبه عليه السلام معلوم
وقد جاءت من ألقابه عليه السلام وسماته في القرآن عدة كثيرة سوى
ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد
والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين والرءوف الرحيم والأمين وقدم الصدق
ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب
والكريم والنبي الأمي وداعي الله في أوصاف كثيرة وسمات جليلة
وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب أنبيائه وأحاديث رسوله وإطلاق
الأمة جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وأبي القاسم والحبيب
ورسول رب العالمين والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن والصا
دق والمصدوق والهادي وسيد ولد آدم وسيد المرسلين وإمام المتقين وقائد
الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة
والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب
التاج والمعراج واللواء والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب
الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين
ومن أسمائه في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس وروح
القدس وهو معنى البارقليط في الإنجيل وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق
بين الحق والباطل ومن أسمائه في الكتب السالفة ماذ ماذ معناه طيب طيب
وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الأحبار قال ثعلب الخاتم الذي ختم الأنبياء والحاتم
أحسن الأنبياء خلقا وخلقا صلى الله عليه وسلم ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا
واسمه أيضا في التوراة أحيد روي ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب
القضيب أي السيف وقع ذلك مفسرا في الإنجيل قال معه قضيب من
حديد يقاتل به وأمته كذلك وقد يحمل على أنه القضيب الممشوق الذي كان
يمسكه عليه السلام وهو الآن عند الخلفاء وأما الهراوة التي وصف

بها فهي في اللغة العصا وأراها والله أعلم العصا المذكورة في حديث
الحوض أذود الناس عنه بعصاي لأهل اليمن وأما التاج فالمراد به
العمامة ولم تكن حينئذ إلا للعرب والعمائم تيجان العرب وأوصافه وألقابه
عليه السلام وسماته في الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع وكانت
كنيته المشهورة أبا القاسم وروي عن أنس أنه لما ولد له إبراهيم جاءه
جبريل عليه السلام فقال له السلام عليك يا أبا إبراهيم

يا أبا إبراهيم صح

فصل

في تشريف الله تعالى له بما سماه به من أسمائه الحسنى ووصفه
به من صفاته العلى قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه
ما أحرى هذا الفصل بفصول الباب الأول لانخراطه في سلك مضمونها
وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر للهداية إلى استنباطه
ولا أنار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه إلا عند الخوض في الفصل
الذي قبله فرأينا أن نضيفه إليه ونجمع به شمله فاعلم أن الله تعالى
خص كثيرا من أنبيائه بكرامة خلعها عليهم من أسمائه كتسميته
إسحق وإسماعيل بعليم وحليم وإبراهيم بحليم ونوحا بشكور وعيسى
ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ عليم وأيوب بصابر
وإسماعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع
ذكرهم صلوات الله على جميعهم وفضل محمدا نبينا عليه السلام
بأن حلاه منها في كتابه العزيز وعلى ألسنة أنبيائه بعدة كثيرة
اجتمع لنا منها جملة بعد إعمال الفكر وإحضار الذكر إذ لم نجد من جمع منها
فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتأليف فصلين وحررنا منها في هذا الفصل
نحو ثلاثين اسما ولعل الله كما ألهم إلى ما علم منها وحققه يتم النعمة
بإبانة ما لم يظهر لنا الآن ويفتح غلقه فمن أسمائه تعالى الحميد ومعناه
المحمود لأنه حمد نفسه وحمده عباده ويكون أيضا بمعنى الحامد لنفسه

ولأعمال الطاعات. وسمى النبي عليه السلام محمدا وأحمد، فمحمد بمعنى محمود
وكذا وقع اسمه في زبور داود، وأحمد بمعنى أكبر من حمد وأجل من حمد، وقد
أشار حسان إلى نحو هذا بقوله:

وشق له من اسمه ليجله … فذو العرش محمود وهذا محمد

ومن أسمائه تعالى الرؤوف الرحيم وهما بمعنى متقارب، وسماه في كتابه
بذلك فقال بالمؤمنين رؤوف رحيم. ومن أسمائه تعالى الحق المبين ومعنى
الحق الموجود المتحقق أمره، وكذلك المبين أي البين أمره وإلهيته، أبان
وأبان بمعنى، ويكون بمعنى المبين لعباده أمر دينهم ومعادهم، وسمى النبي
صلى الله عليه وسلم بذلك في كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين، وقال
تعالى وقل إني أنا النذير المبين، وقال قد جاءكم الحق من ربكم، وقال فقد كذبوا
بالحق لما جاءهم، قيل محمد وقيل القرآن، ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق
صدقه وأمره وهو بمعنى الأول، والمبين البين أمره ورسالته أو المبين
عن الله ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل إليهم. ومن أسمائه تعالى
النور ومعناه ذو النور أي خالقه أو منور السماوات والأرض بالأنوار ومنور
قلوب المؤمنين بالهداية، وسماه نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين،
قيل محمد وقيل القرآن، وقال فيه وسراجا منيرا، سمي بذلك لوضوح أمره
وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به. ومن أسمائه
تعالى الشهيد ومعناه العالم، وقيل الشاهد على عباده يوم القيامة، وسماه
عليه السلام شهيدا وشاهدا فقال إنا أرسلناك شاهدا، وقال ويكون
الرسول عليكم شهيدا، وهو بمعنى الأول. ومن أسمائه تعالى الكريم
ومعناه الكثير الخير، وقيل المفضل، وقيل العفو، وقيل العلي، وفي الحديث
المروي في أسمائه تعالى الأكرم، وسماه تعالى كريما بقوله إنه لقول رسول
كريم، قيل محمد وقيل جبريل، وقال عليه السلام أنا أكرم ولد آدم، ومعاني

الاسم بصحة في حقه عليه الصلاة والسلام. ومن أسمائه تعالى
العظيم ومعناه الجليل الشأن الذي كل شيء دونه، وقال في النبي عليه الصلاة
والسلام وإنك لعلى خلق عظيم. ووقع في أول سفر من التوراة عن
إسماعيل وسيلد عظيما لأمة عظيمة، فهو عظيم وعلى خلق عظيم. ومن
أسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح، وقيل القاهر، وقيل العلي العظيم الشأن،
وقيل المتكبر، وسمي النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب داود عليه السلام
بجبار فقال تقلد أيها الجبار سيفك فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك،
ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم إما لإصلاحه الأمة بالهداية والتعليم
أو لقهره أعداءه أو لعلو منزلته على البشر وعظيم خطره، ونفى تعالى عنه في
القرآن جبرية التكبر التي لا تليق به فقال تعالى وما أنت عليهم بجبار. ومن
أسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته،
وقيل معناه المخبر، وقال الله تعالى فاسأل به خبيرا، قيل المأمور بالسؤال غير
المسؤول الله، والسائل عن النبي عليه الصلاة والسلام، قال القاضي بكر بن
العلاء المأمور بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم، والمسؤول الخبير هو النبي عليه
السلام، وقال غيره بل السائل النبي والمسؤول الله تعالى، فالنبي خبير بالوجهين
المذكورين، قيل لأنه عالم على غاية من العلم بما أعلمه الله من مكنون علمه
وعظيم معرفته، مخبر لأمته بما أذن له في إعلامهم به. ومن أسمائه
تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده أو فاتح أبواب الرزق والرحمة والمنغلق
من أمورهم عليهم، أو يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق، ويكون أيضا
بمعنى الناصر كقوله تعالى إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح، أي إن تستنصروا
فقد جاءكم النصر، وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر، وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى
الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الإسراء من رواية الربيع بن أنس عن أبي العالية
أو غيره عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما

لى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه وتعديده مراتبه ورفع لي
ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم أو الفاتح لابواب
الرحمة على أمته والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله تعالى والفاتح للحق
أو المبتدئ بهداية الامة أو المبتدأ المقدم في الانبياء والخاتم لهم كما قال عليه
الصلاة والسلام كنت أول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث ومن اسمائه تعالى في
الحديث الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك
نبيه نوحا عليه الصلاة والسلام فقال تعالى انه كان عبدا شكورا أي معترفا بنعمه وقيل انما
نعتقد ان اشتغاله عليه مجهور ان يتصف في الزيادة من ذلك لقوله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم
ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه
صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل
الله عليك عظيما وقال تعالى ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون ومن اسمائه تعالى الاول والآخر ومعناهما السابق للاشياء قبل وجودها
والباقي بعد فنائها وتحقيقه أنه ليس له أول ولا آخر وقال عليه الصلاة والسلام
كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث وفسر بهذا قوله تعالى واذ
اخذنا من النبيئين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه
الرجو ومنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام نحن
الآخرون السابقون وقوله صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق عنه الارض واول
من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع وهو خاتم النبيئين وآخر
الرسل صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه تعالى القوي وذو
القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك فقال
ذي قوة عند ذي العرش مكين فقيل محمد وقيل جبريل ومن اسمائه
تعالى الصادق في الحديث المأثور وورد في الحديث أيضا اسمه عليه
الصلاة والسلام بالصادق والمصدوق ومن اسمائه تعالى الولي والمولى

والمولى ومعناهما الناصر وقد قال الله تعالى إنما وليكم الله ورسوله
وقال عليه السلام انا ولي كل مومن وقال الله تعالى النبي أولى بالمومنين
وقال عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه ومن اسمائه تعالى العفو
ومعناه الصفوح وقد وصف الله تعالى نبيه في القرآن والتوراة وأمره
بالعفو فقال تعالى خذ العفو وامر بالعرف وقال تعالى واعف عنهم
واصفح قال لجبريل وقد سأله عن قوله خذ العفو وقال أن تعفو عمن
ظلمك وقال في التوراة والانجيل في الحديث المشهور في صفته عليه
السلام ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه تعالى
الهادي وهو بمعنى توفيق الله لمن أراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء
قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم
وأصل الجميع من الميل وقيل من التقويم وقيل في تدبيرهم بها هادي يعني
النبي عليه السلام وقال تعالى له وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال
تعالى فيه عليه السلام وداعيا الى الله باذنه فالله مختص بالمعنى الاول
قال تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وبمعنى الدلالة
ينطلق على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى المومن المهيمن وقيل هما بمعنى
واحد ومعنى المومن في حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله
الحق والمصدق لعباده المومنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المومن
عباده في الدنيا من ظلمه والمومنين في الآخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى
الامين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم في الدعاء آمين انه
اسم من اسماء الله ومعناه معنى المومن وقيل المهيمن وقيل معنى الشاهد
والحافظ والنبي عليه السلام امين ومهيمن ومومن وقد سماه الله أمينا
فقال مطاع ثم امين وكان عليه السلام يعرف بالامين وشهر به قبل
النبوة وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا في قوله ثم اغتدى

نبط المهيمن من حرف علينا يجمعهما التحقق : قيل الهاء بدلا من الهمزة فالمهيمن قاله
القتبي والإمام أبو القاسم القشيري وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين
أي يصدق وقال أنا أمنة لأصحابي فهذا بمعنى المؤمن **ومن أسمائه تعالى**
القدوس ومعناه المنزه عن الآفات المطهر من سمات الحدث وسمي بيت
المقدس لأنه يتطهر فيه من الذنوب ومنه أبواب المقدس ووقع في كتب
الأنبياء في أسمائه عليه السلام المقدس أي المطهر من الذنوب كما قال
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر والذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه
باتباعه عنها كما قال ويزكيكم وقال ويخرجهم من الظلمات إلى النور
أو يكون مقدسا بمعنى مطهر من الأخلاق الذميمة والأوصاف الدنية
ومن أسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب أو الذي لا نظير له أو المعز
لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين أي الامتناع وجلالة القدر
وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وقال إن الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه الله تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا أي
مبشر الأهل طاعته ونذير الأهل معصيته **ومن أسمائه تعالى** فيما ذكره بعض
المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم أيضا أنهما من أسماء محمد صلى الله عليه وسلم
وشرف وكرم **فصل قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه**
وها أنا أذكر نكتة أذيل بها هذا الفصل وأختم بها هذا القسم وأزيح الإشكال
بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه
وتزحزحه عن شبه التمويه وهو أن يعتقد أن الله جل اسمه في عظمته وكبريائه
وملكوته وحسنى أسمائه وعلي صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به
وأن ما جاء مما أطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في
المعنى الحقيقي إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما أن ذاته تعالى
لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين إذ صفاتهم لا

وقف لله

تنفك عن الأغراض والأعراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته
وأسمائه وكفى في هذا قوله تعالى ليس كمثله شيء ولله در من قال من العلماء
العارفين المحققين التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة عن
الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله بيانا وهي مقصودنا فقال
ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة إلا
من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة أن تكون لها صفة حديثة
كما استحال أن تكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب أهل الحق
والسنة والجماعة رضي الله عنهم **وقد فسر الإمام** أبو القاسم القشيري
رحمه الله قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل
التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف
يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب أنس أو دفع نقص حصل ولا بخواطر
وأغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه
وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم فهو
محدث مثلكم وقال الإمام أبو المعالي الجويني من اطمأن إلى موجود انتهى إليه
فكره فهو مشبه ومن اطمأن إلى النفي المحض فهو معطل وإن قطع بموجود
اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما أحسن قول ذي النون المصري
حقيقة التوحيد أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا علاج وصنعه لها بلا
مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك فالله
بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الآخر تفسير لقوله ليس
كمثله شيء والثاني تفسير لقوله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
والثالث تفسير لقوله عز وجل إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن
فيكون ثبتنا الله وإياك على التوحيد والإثبات والتنزيه وجنبنا
طرفي الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته

وقف لله تعالى

الباب الرابع فيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات
وشرفه به من الخصائص والكرامات قال القاضي أبو الفضل
رضي الله عنه حسب المتأمل أن يحقق أن كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر
نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج إلى نصب البراهين
عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل المطاعن إليها ونذكر شروط المعجز
والتحدي وحده وفساد قول من أبطل نسخ الشرائع ورده بل ألفناه لأهل
ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تأكيدا في محبتهم له ومنماة
لأعمالهم وليزدادوا إيمانا مع إيمانهم. ونيتنا أن نثبت في هذا الباب
أمهات معجزاته ومشاهير آياته لتدل على عظيم قدره عند ربه وأتينا منها
بالمحقق والصحيح الإسناد وأكثره مما بلغ القطع أو كاد وأضفنا إليها
بعض ما وقع في مشاهير كتب الأئمة وإذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه
من جميل أثره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله
وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى
هذا واحدا في إسلامه والإيمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما بأسانيدهم
أن عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته
لأنظر إليه فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا به القاضي
الشهيد أبو علي رحمه الله قال حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون
عن أبي يعلى البغدادي عن أبي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي عن
محمد بن بشار قال أنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن أبي عدي ويحيى
بن سعيد عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي عن زرارة بن أوفى عن عبد الله بن
سلام الحديث. وعن أبي رمثة التيمي أتيت النبي عليه السلام ومعي ابن
لي فأريته النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأيته قلت هذا نبي الله وروى
مسلم وغيره أن ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إن الحمد

لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال له أعد
علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك أبايعك وقال
جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فأخبر أنه رأى النبي صلى الله
عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم
قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فأخذ بخطامه وسار إلى المدينة فقلنا بعنا
من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت أنا ضامنة لثمن البعير رأيت
وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فأصبحنا فجاء رجل بتمر فقال أنا
رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر وتكتالوا
حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندي ملك عمان لما بلغه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام قال الجلندي والله لقد دلني على هذا
النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به ولا ينهى عن شيء إلا كان
أول تارك له وأنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود
وأشهد أنه نبي وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسسه نار هذا مثل ضربه الله لنبيه عليه السلام يقول يكاد منظره يدل
على نبوته وإن لم يتل قرآنا كما قال ابن رواحة
لو لم تكن فيه آيات مبينة ... لكان منظره ينبيك بالخبر
وقد آن أن نأخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزة القرآن
وما فيه من براهين ودلائل فصل اعلم أن الله جل اسمه قادر على خلق
المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته وأسمائه وصفاته وجميع تكليفاته
ابتداء دون واسطة لو شاء كما حكي عن سنته في بعض الأنبياء وذكره
بعض أهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا
وجائز أن يوصل إليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه وتكون تلك

[illegible]

[illegible]

ورسله إما من غير البشر كالملائكة مع الأنبياء عليهم السلام أو من جنسهم
كالأنبياء مع الأمم ولا مانع لهذا من دليل العقل وإذا جاز هذا ولم يستحل
وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع
ما أتوا به لأن المعجزة مع التحدي من النبي قائمة مقام قول الله عز وجل صدق
عبدي فأطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف
والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن أراد تتبعه وجده مستوفى في مصنفات
أئمتنا رحمهم الله والنبوءة في اللغة مأخوذة من النبأ وهو الخبر وقد
لا يهمز على هذا التأويل تسهيلا والمعنى أن الله أطلعه على غيبه وأعلمه
أنه نبيه فيكون نبي منبأ فعيل بمعنى مفعول أو يكون مخبرا عما بعثه
الله به ومنبئا بما أطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم
يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الأرض معناه أن له رتبة شريفة ومكانة
نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه مؤتلفان **وأما الرسول**
فهو المرسل ولم يأت فعول بمعنى مفعل في اللغة إلا نادرا وإرساله
أمر الله له بالإبلاغ إلى من أرسله إليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم
جاء القوم أرسالا إذا تبع بعضهم بعضا فكأنه ألزم تكرير التبليغ
أو ألزمت الأمة اتباعه **واختلف العلماء** هل النبي والرسول
بمعنى واحد أم بمعنيين فقيل هما سواء وأصله من الإنباء وهو الإعلام
واستدلوا بقوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فقد
أثبت لهما معا الإرسال قال ولا يكون النبي إلا رسولا ولا الرسول
إلا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه إذ قد اجتمعا في النبوءة التي هي
الاطلاع على الغيب والإعلام بخواص النبوءة أو الرفعة بمعرفة ذلك
وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة للرسول وهو الأمر بالإنذار
والإعلام كما قلنا وحجتهم من الآية نفسها التفريق بين الاسمين ولو

ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى
وما أرسلنا من نبي إلى أمة أو نبي ليس بمرسل إلى أحد **وقد ذهب بعضهم**
إلى أن الرسول من جاء بشرع مبتدإ ومن لم يأت به نبي غير رسول وإن أمر
بالإنذار والإبلاغ والصحيح والذي عليه الجم الغفير أن كل رسول نبي
وليس كل نبي رسولا وأول الرسل آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم
وفي حديث أبي ذر عنه عليه السلام أن الأنبياء مائة ألف وأربعة
وعشرون ألف نبي وذكر أن الرسل منهم ثلاث مائة وثلاثة عشر أولهم
آدم فقد بان لك معنى النبوءة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا
للنبي صلى الله عليه وسلم ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل
لهم وتهويل ليس عليه تعويل **وأما الوحي** فأصله الإسراع
فلما كان النبي يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت أنواع
الإلهامات وحيا تشبيها بالوحي إلى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة
حركة يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة إشارتهما ومنه قوله
تعالى فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا أي أومأ ورمز وقيل كتب
ومنه قولهم الوحى الوحى أي السرعة وقيل أصل الوحي السر والإخفاء
ومنه سمي الإلهام وحيا ومنه قوله تعالى وإن الشياطين ليوحون إلى
أوليائهم أي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله تعالى وأوحينا إلى
أم موسى أي ألقي في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان
لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أي يلقي في قلبه دون واسطة **فصل**
اعلم أن معنى تسميتنا ما جاءت به الأنبياء معجزة أن الخلق عجزوا
عن الإتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا
عنه فتعجيزهم عنه فعل الله تعالى دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني
الموت وتعجيزهم عن الإتيان بمثل القرآن على رأي بعضهم ونحوه

ومنها ما هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى
وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من بين الاصابع
وانشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله تعالى فيكون ذلك على يد
النبي من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه ان ياتي بمثله تعجيز له **واعلم**
ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلايل نبوته وبراهين
صدقه من هذين النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم اية واظهرهم
برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها
وهو القرءان لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي صلى
الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجز عنها **قال اهل العلم**
واقصر السور انا اعطيناك الكوثر فكل اية او ايات منه بعددها وقدرها
معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات ثم
معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا
كالقرءان فلا مرية ولا خلاف بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم به وظهوره من قبله
واستدلاله بحجته وان انكر هذا معاند جاحد فهو كانكاره وجود محمد
صلى الله عليه وسلم في الدنيا وانما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في
نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه اعجازه معلوم ضرورة
ونظرا كما سنشرحه قال بعض ائمتنا ويجري هذا المجرى على الجملة انه قد جرى
على يديه عليه السلام ايات وخوارق عادات ان لم يبلغ واحد منها معينا
القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف مومن
ولا كافر انه جرت على يديه عجايب وانما خلاف المعاندين في كونها من
قبل الله وقد قدمنا كونها من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله صدقت
فقد علم وقوع مثل هذا ايضا من نبينا صلى الله عليه وسلم ضرورة لاتفاق
معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم احنف

لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا وجود هذا
وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا
يقطع بصحته • والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو
على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين
والرواة ونقلة السير والاخبار كنبع الماء من بين الاصابع وتكثير
الطعام • ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير
ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا
على الاتيان بالمعجز كما قدمنا **قال القاضي ابو الفضل رضي
الله عنه** وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الايات الماثورة عنه
عليه السلام معلومة بالقطع اما انشقاق القمر فالقرءان نص بوقوعه
واخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهر الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح
الاخبار من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف اخرق منحل عرى الدين ولا
يلتفت الى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المومنين بل نرغم
بهذا انفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها
الثقات والعدد الكثير عن الجم الغفير عن العدد الكثير من الصحابة ومنها
ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم
ان ذلك كان في اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة
الحديبية وغزوة تبوك وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم
يوثر عن احد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا انكار عما انه
ذكر عنهم انهم رواه كما رواه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق
اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك
رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف
لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشياء رواها من السنن

في موطن اجتماع

والبيع وحروف القراءات وخلاف بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو
معلوم بمثل هذا النوع كله يعلمون بالقطع من معجزاته لما بيناه وأيضا فإن
أمثال الأخبار التي لا أصل لها وتنبني على باطل لا بد مع مرور الزمان وتداول
الناس وأهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما نشاهد في
كثير من الأخبار الكاذبة والأراجيف الطارئة وأعلام نبينا صلى الله
عليه وسلم هذه الواردة من طريق الآحاد لا تزداد مع مرور الزمان إلا ظهورا
ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف
أصلها واجتهاد الملحد على إطفاء نورها إلا قوة وقبولا ولا للطاعن عليها
إلا حسرة وغليلا. وكذلك إخباره عن الغيوب وإنباؤه بما يكون وكان
معلوم من آياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه. وقد قال به من
أئمتنا القاضي والأستاذ أبو بكر وغيرهما رحمهما الله وما أوجب عندي قول
القائل أن هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد إلا قلة مطالعته للأخبار
وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف وإلا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع
الحديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي
ذكرناه ولا يبعد أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر
فإن أكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وأنها مدينة عظيمة
ودار الإمارة والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها
وهكذا يعلم الفقهاء من أصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه أن
مذهبه إيجاب قراءة أم القرآن في الصلاة للمنفرد والإمام وإجزاء النية في أول
ليلة من رمضان عما سواه وأن الشافعي يرى تجديد النية في كل ليلة
والاقتصار في المسح على بعض الرأس وأن مذهبهما القصاص في القتل
بالمحدد وغيره وإيجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وأن
أبا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لا يشتغل بمذاهبهم

لا

ولا يدرون أقوالهم لا يعلم هذا من مذاهبهم فضلا عن سواه. وعند ذكر آحاد
هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا إن شاء الله تعالى.

فصل في إعجاز القرآن

اعلم وفقنا الله وإياك أن كتاب الله العزيز
منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها
في أربعة وجوه أولها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه
وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان
الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم بما لم يخص به غيرهم من الأمم وأوتوا
من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الألباب جعل الله
ذلك لهم طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب
ويدلون به إلى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون
به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون
ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من أوصافهم أجمل من
سمط اللآل فيخدعون الألباب ويذللون الصعاب ويذهبون الإحن ويهيجون
الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا
ويتركون النبيه خاملا. منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل
والكلام الفخم والطبع الجهوري والمنزع القوي. ومنهم الحضري
ذو البلاغة البارعة والألفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع
السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية
وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح
الفالج والمهيع الناهج لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم والبلاغة
ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب
من أبوابها وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا
في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم

الجوهري

والنثر. فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. أحكمت آياته
وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل
مقول وتظافر إيجازه وإعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه. وتبارت في
الحسن مطالعه ومقاطعه. وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه. واعتدل
مع إيجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم أفسح
ما كانوا في هذا الباب مجالا وأشهر في الخطابة رجالا. وأكثر في السجع
والشعر سجالا. وأوسع في الغريب واللغة مقالا. بلغتهم التي بها يتحاورون
ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا
وعشرين عاما على رؤوس الملإ أجمعين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله
وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين وإن كنتم في ريب مما
نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله إلى قوله ولن تفعلوا. وقل لئن اجتمعت
الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن الآية. وقل فأتوا بعشر سور
مثله مفتريات. وذلك أن المفترى أسهل ووضع الباطل والمختلق على
الاختيار أقرب. واللفظ إذا اتبع المعنى الصحيح كان أصعب ولهذا قيل فلان
يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد وللأول على الثاني فضل
وبينهما شأو بعيد. فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم أشد التقريع
ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم ويشتت نظامهم
ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم وهم في كل
هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون أنفسهم
بالتشغيب بالتكذيب. والإغراء بالافتراء. وقولهم إن هذا إلا سحر
يؤثر وسحر مستمر وإفك افتراه وأساطير الأولين والمباهتة والرضى
بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا

وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم
تغلبون. والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا. وقد قال لهم
الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا. ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة
كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم وإلا فلم يخف
على أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين
وأتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله
عليه وسلم إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية قال والله إن له لحلاوة وإن عليه
لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر. وذكر أبو عبيد
أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع
آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال أشهد أن مخلوقا لا يقدر على
مثل هذا الكلام. **وحكي أن عمر** بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما
في المسجد فإذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فأعلمه
أنه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وأنه سمع رجلا من أسرى
المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فإذا قد جمع فيها ما أنزل على عيسى
ابن مريم من أحوال الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش
الله ويتقه فأولئك هم الفائزون. **وحكى الأصمعي** أنه سمع كلام
جارية فقال لها قاتلك الله ما أفصحك فقالت أو يعد هذا فصاحة بعد
قوله تعالى وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه الآية فجمع في آية واحدة بين أمرين
ونهيين وخبرين وبشارتين. فهذا نوع من إعجازه منفرد بذاته غير مضاف إلى
غيره على التحقيق والصحيح من القولين. وكون القرآن من قبل النبي صلى الله
عليه وسلم وأنه أتى به معلوم ضرورة وكونه عليه السلام متحديا به معلوم
ضرورة وعجز العرب عن الإتيان به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته
خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبل

وقف لله سبحانه وتعالى

من لم يكن من أهلها علم ذلك بعجز المنكرين من أهلها عن معارضته واعتراف
المقرين بإعجاز بلاغته. وأنت إذا تأملت قوله تعالى ولكم في القصاص
حياة. وقوله ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب. وقوله
ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. وقوله
وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي الآية. وقوله فكلا أخذنا بذنبه
فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا الآية وأشباهها من الآي بل أكثر القرآن حققت
ما بينته من إيجاز ألفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تأليف
حروفها وتلائم كلمها وأن تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وتلاؤم
وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات
في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالف
التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية
لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة
يوسف عليه السلام على طولها ثم إذا ترددت قصصه اختلفت العبارات
عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها
وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة
لمعادها.

فصل الوجه الثاني من إعجازه صورة نظمه العجيب
والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها
الذي جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته إليه
ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه
بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه أحلامهم ولم يهتدوا إلى مثله في
جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر. ولما سمع كلامه صلى
الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق فجاءه أبو جهل منكرا
عليه قال والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار مني والله ما يشبه الذي

وقف لله سبحانه وتعالى

يقول شيئا من هذا. وفي خبره الآخر حين جمع قريشا عند حضور
الموسم وقال إن وفود العرب ترد فأجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم
بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا
سجعه. قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته. قالوا
فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه
ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر. قالوا فنقول ساحر قال ما هو
بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما أنتم بقائلين من هذا شيئا
إلا وأنا أعرف أنه باطل وإن أقرب القول أنه ساحر فإنه سحر يفرق بين
المرء وابنه والمرء وأخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا
على السبل يحذرون الناس فأنزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت
وحيدا الآيات. وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم
أني لم أترك شيئا إلا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولا
والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة
وقال النضر بن الحارث مثله. وفي حديث إسلام أبي ذر ووصف أخاه
أنيسا فقال والله ما سمعت بأشعر من أخي أنيس لقد ناقض اثني عشر بالشعر
شاعرا في الجاهلية أنا أحدهم وإنه انطلق إلى مكة وجاء إلى أبي
ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون
شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد
وضعته على أنواء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه
شعر وإنه لصادق وإنهم لكاذبون والأخبار في هذا صحيحة كثيرة
والإعجاز بكل واحد من النوعين الإيجاز والبلاغة بذاتها أو الأسلوب
الغريب بذاته كل واحد منهما نوع إعجاز على التحقيق لم تقدر العرب
على الإتيان بواحد منهما إذ كل واحد منهما خارج عن قدرتها مباين

[illegible] جميعا وبعده وإن هذا ذهب غير واحد من أئمة المحققين وذهب بعض المقتدين إلى أن الإعجاز في مجموع البلاغة والأسلوب وأتى على ذلك بقول تمجه الأسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة وأرهف خاطره ولسانه أدب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه فأكثرهم يقول إنه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة ألفاظه وحسن نظمه وإيجازه وبديع تأليفه وأسلوبه لا يصح أن يكون في مقدور البشر وأنه من باب الخوارق الممتنعة عن إقدار الخلق عليها كإحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصا. وذهب الشيخ أبو الحسن إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من أصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت وإقامة الحجة عليهم بما يصح أن يكون في مقدور البشر وتحديهم بأن يأتوا بمثله قاطع وهو أبلغ في التعجيز وأحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو أبهر آية وأقمع دلالة. وعلى كل حال فما أتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الأنف وإباية الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه إلا اضطرارا وإلا فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها أهون عليهم وأسرع بالنجح وقطع العذر وإفحام الخصم لديهم وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الأنام وما منهم إلا من جهد جهده واستنفد ما عنده في إخفاء ظهوره وإطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا أتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الأمد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل أبلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا

المقتدين

فهذان نوعان من إعجازه.

فصل الوجه الثالث من الإعجاز ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي أخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على الدين كله وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية وقوله إذا جاء نصر الله إلى آخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس في الإسلام أفواجا فما مات عليه السلام وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الإسلام واستخلف المؤمنين في الأرض ومكن فيها دينهم وملكهم إياها من أقصى المشارق إلى أقصى المغارب كما قال عليه السلام زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها وقوله إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فأجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمسمائة عام فما قدروا على إطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله. ومنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم الآية وقوله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى الآية وقوله تعالى لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار الآية فكان كل ذلك. وما فيه من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك الآية وقوله من الذين هادوا سماعون للكذب الآية وقوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم الآية إلى قوله في الدين. وقد قال مبتدئا

لمن

القرامطة

ما قدره الله وما اعتقده المؤمنون يوم بدر. وإذ يعدكم الله إحدى
الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه
قوله تعالى إنا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم
أصحابه بأن الله كفاه إياهم وكان المستهزءون نفرا بمكة ينفرون الناس
عنه ويوذونه فهلكوا. وقوله تعالى والله يعصمك من الناس فكان
كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة
صحيحة. **فصل** الوجه الرابع ما أنبأ به صلى الله عليه وسلم من أخبار
القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه
القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم
ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف
العالم بذلك بصحته وصدقه وأن مثله لم ينله بتعليم وقد علموا أنه
صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة
لم يغب عنهم ولا جهل حاله أحد منهم وقد كان أهل الكتاب كثيرا ما
يسألونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم
منه ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف
وإخوته وأصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه وأشباه ذلك من
الانباء وبدء الخلق وما في التوراة والانجيل والزبور وصحف إبراهيم
وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر
منها بل أذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن شقي معاند
حاسد ومع هذا لم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة
عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم
وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له وتعنيتهم
إياه عن أخبار أنبيائهم وأسرار علومهم ومستودعات

سيرهم وإعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم
عن الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم
إسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت أحلت لهم
فحرمت عليهم ببغيهم وقوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل
وغير ذلك من أمورهم التي نزل فيها القرآن فأجابهم وعرفهم بما أوحي إليه
من ذلك فما سمع عن أحد منهم أنه أنكر ذلك أو كذب به بل أكثرهم صرح
بصحة نبوته وصدق مقاله واعترف بعناده وحسده إياه كأهل نجران وابن
صوريا وابني أخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض المباهتة وادعى
أن فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعي إلى إقامة حجته وكشف
دعوته فقيل له فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين إلى قوله الظالمون
فقرع ووبخ ودعي إلى إحضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح
يلقي على فضيحته من كتابه يده ولم يوثر أن واحدا منهم أظهر خلاف قوله من
كتبه ولا أبدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى يا أهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو
عن كثير الآيتان. **فصل** هذه الوجوه الاربعة من إعجازه بينة
لا نزاع فيها ولا مرية. ومن الوجوه البينة في إعجازه من غير هذه الوجوه
آي وردت بتعجيز قوم في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا
قدروا على ذلك كقوله لليهود قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند
الله خالصة الآية. قال أبو إسحاق الزجاج في هذه الآية أعظم حجة وأظهر
دلالة على صحة الرسالة لأنه قال لهم فتمنوا الموت وأعلمهم أنهم لن يتمنوه
أبدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لا يقولها رجل منهم إلا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم
الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما أوحي إليه إذ لم يتمنه

أحد منهم وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد
فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال أبو محمد الأصيلي رحمه الله
من أعجب أمرهم أنه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم أمر الله بذلك
نبيه يقدم عليه ولا يجيب إليه وهذا موجود مشاهد لمن أراد أن
يمتحنه منهم وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه أساقفة
نجران وأبوا الإسلام فأنزل الله تعالى عليه آية المباهلة بقوله تعالى فمن حاجك
فيه الآية فامتنعوا منها ورضوا بأداء الجزية وذلك أن العاقب عظيمهم
قال لهم قد علمتم أنه نبي وأنه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا
صغيرهم ومثله قوله وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا إلى قوله فإن
لم تفعلوا ولن تفعلوا فأخبرهم تعالى أنهم لا يفعلون كما كان قال وهذه
الآية أدخل في باب الإخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها

فصل ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند
سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وإنافة خطره وهي
على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا
كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهيتهم له **ولهذا قال عليه
السلام** إن القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم وأما
المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه
هشاشة لميل قلبه إليه وتصديقه به قال الله تعالى تقشعر منه جلود
الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله وقال تعالى لو أنزلنا
هذا القرآن على جبل الآية ويدل على أن هذا شيء خص به أنه يعتري من لا
يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني أنه مر بقارئ فوقف يبكي
فقيل له مم بكيت قال للشجى والنظم وهذه الروعة قد اعترت
جماعة قبل الإسلام وبعده فمنهم من أسلم لها لأول وهلة وآمن به ومنهم

٧٤

من كفر **وحكي في الصحيح** عن جبير بن مطعم **قال سمعت النبي صلى
الله عليه وسلم** يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا
من غير شيء أم هم الخالقون إلى قوله تعالى المصيطرون كاد قلبي أن يطير
وفي رواية وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي. وعن عتبة بن ربيعة أنه كلم
النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليه حم فصلت
إلى قوله تعالى صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة بيده على في
النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف وفي رواية فجعل النبي يقرأ
وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى إلى السجدة
فسجد النبي عليه السلام وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع إلى أهله ولم
يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر إليهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله
ما سمعت أذناي بمثله قط فما دريت ما أقول له. **وقد حكي عن غير
واحد** ممن رام معارضته أنه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي
أن ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا أرض ابلعي
ماءك فرجع فمحا ما عمل وقال أشهد أن هذا لا يعارض وما هو من كلام
البشر وكان أفصح أهل وقته. وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الأندلس
في زمانه فحكي أنه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الإخلاص ليحذو على مثالها
وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترته خشية ورقة حملته على التوبة
والإنابة.

فصل ومن وجوه إعجازه المعدودة كونه آية باقية
لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه. فقال إنا نحن نزلنا
الذكر وإنا له لحافظون وقال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
وسائر معجزات الأنبياء عليهم السلام انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق
إلا خبرها. **والقرآن العزيز** الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على ما
كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة لأول نزوله إلى وقتنا

[illegible]
عليه السلام

هذا وجنسه فاهم وأهل عصره فمتبعه والأعصار بعده طافحة بأهل البيان وحملة علم اللسان وأئمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحدين فيهم كثير والمعادين للشرع غفير فما منهم من أتى بشيء في معارضته ولا ألف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك إلا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك إلقاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه.

فصل وقد عد جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة في إعجازه وجوها كثيرة منها أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى إذا أعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الأزمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى أحدث أصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها **ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم** القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الأمم ببراهين قوية وأدلة بينة سهلة الألفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم وقل يحييها الذي أنشأها أول مرة ولو

عصوم

ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا إلى ما حواه من علوم السير وأنباء الأمم والمواعظ والحكم وأخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم **قال الله جل اسمه** ما فرطنا في الكتاب من شيء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل **وقال عليه السلام** إن الله أنزل هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به أقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه وقال فيه ولا يختلف ولا يتشانا فيه نبأ الأولين والآخرين **وفي الحديث قال الله جل وعز لمحمد عليه السلام** إني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب **وعن كعب** عليكم بالقرآن فإنه فهم العقل ونور الحكمة **وقال تعالى** إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وقال هذا بيان للناس وهدى الآية فجمع فيه مع وجازة ألفاظه وجوامع كلمه أضعاف ما في الكتب قبله التي ألفاظها على الضعف منه مرارا ومنها جمعه فيه بين الدليل ومدلوله وذلك أنه احتج بنظم القرآن وحسن وصفه وإيجازه وبلاغته وأثناء هذه البلاغة أمره

ونهيه ووعده ووعيده فالناظر له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة. ومنها أن جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لأن المنظوم أسهل على النفوس وأوعى للقلوب وأسمع في الآذان وأحلى في الأفهام فالناس إليه أميل والأهواء إليه أسرع. ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر. وسائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجم على مرور السنين عليهم والقرآن ميسر حفظه للغلمان في أقرب مدة. ومنها مشاكلة بعض أجزائه بعضا وحسن ائتلاف أنواعها والتئام أقسامها وحسن التخلص من قصة إلى أخرى والخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة على أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد وإثبات نبوة وتوحيد وتفريد وترغيب وترهيب إلى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت ألفاظه فتأمل أول ص وما جمع فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم بإهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم بمحمد عليه السلام وتعجبهم مما أتى به والخبر عن اجتماع ملئهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة وتكذيب الأمم قبلهم وإهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على أذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره. ثم أخذ في ذكر داود وقصص الأنبياء عليهم السلام كل هذا في أوجز كلام وأحسن نظام. ومنها الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا أنه ذكر في إعجاز القرآن إلى وجوه كثيرة ذكرها الأئمة لم نذكرها

أكثرها إذ أحد في باب بلاغته فلا يجب أن يعد فيما نحن فيه من إعجازه إلا في باب تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله لا إعجازه وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي والله ولي التوفيق.

فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس

قال الله تبارك وتعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر. أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي وإعراض الكفرة عن آيته. وأجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه نا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه نا القاضي سراج بن عبد الله نا الأصيلي نا المروزي نا الفربري نا البخاري نا مسدد نا يحيى عن شعبة وسفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا. وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق الأعمش بمنى ورواه أيضا عن ابن مسعود الأسود وقال حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق أنه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن أبي كبشة فقال رجل منهم إن محمدا إن كان سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها فسلوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فأتوا فسألوا فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك. وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال أبو جهل هذا سحر فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى تنظروا أرأوا ذلك أم لا فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه أيضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء الأربعة عن عبد الله وقد رواه عن ابن مسعود كما رواه ابن مسعود

فوقه

منهم أنس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم رضي الله عنهم عباس
فقال علي من رواية أبي حذيفة الأرحبي انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه
وسلم وعن أنس سأل أهل مكة النبي عليه السلام أن يريهم آية فأراهم انشقاق
القمر مرتين حتى رأوا حراء بينهما رواه عن أنس قتادة وفي رواية معمر وغيره
عن قتادة عنه أراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر
ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس عبيد
الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة أبو عبد
الرحمن السلمي ومسلم بن أبي عمران الأزدي وأكثر طرق هذه الأحاديث
صحيحة والآية مصرحة ولا يلتفت إلى اعتراض مخذول بأنه لو كان هذا
لم يخف على أهل الأرض إذ هو شيء ظاهر لجميعهم إذ لم ينقل إلينا عن أهل
الأرض أنهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل إلينا عمن لا يجوز
تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة إذ ليس القمر في حد واحد
لجميع أهل الأرض فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين وقد يكون
من قوم بضد ما هو من مقابليهم من أقطار الأرض أو يحول بين قوم وبينه
سحاب أو جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي
بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها إلا المدعون جزئية
لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وآية القمر كانت ليلا والعادة
من الناس بالليل الهدوء والسكون وإيجاف الأبواب وقطع التصرف
ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيئا إلا من رصد ذلك واهتبل به
ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد وأكثرهم لا يعلم
به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار
ونجوم طوالع عظام تظهر في الأحيان بالليل في السماء ولا علم عند أحد
منها وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن أسماء بنت عميس من

77

طريقين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي
فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصليت
يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إنه كان في طاعتك
وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها
طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والأرض وذلك بالصهباء من خيبر
قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات حكاه الطبري وحكى
الطحاوي أن أحمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف
عن حفظ حديث أسماء لأنه من علامات النبوة لمن تحمل عن مشكلة تقتضي
العلم أن يغيب عنه حديث أسماء لأنه من علامات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
إلا ما صح نقله ولا سيما ما تضمن الإخبار من علامات معجزات النبي المختار
كحديث أسماء وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي عن ابن إسحاق لما أسري روايته
برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير
قالوا متى تجيء قال يوم الأربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش
ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له
في النهار ساعة وحبست عليه الشمس

فصل في نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم

أما الأحاديث
في هذا فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم تبع
جماعة من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود رضي الله عنهم نا أبو إسحاق
إبراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه نا القاضي عيسى بن سهل
نا أبو القاسم حاتم بن محمد نا أبو محمد بن الفخار نا أبو عيسى نا يحيى نا مالك
عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله صلى
الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء

وفقه الله يحي

ان يتوضا

يده وامر الناس ان يتوضاوا منه. قال فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضا
الناس حتى توضاوا من عند اخرهم. ورواه ايضا عن انس قتادة، وقال باناء
فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر. قال كم كنتم قال زهاء ثلاث مائة. وفي
رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق. ورواه ايضا حميد وثابت والحسن
عن انس. وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه
وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا. واما ابن مسعود ففي الصحيح عنه
من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال
لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فاتي بماء فصبه في
اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضا منها واقبل الناس نحوه
وقالوا ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون وفيه
فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة
وروى مثله عن انس وعن جابر وفيه انه كان بالحديبية. وفي رواية الوليد بن
عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه
لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم
بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها بين يديه
وذكر ان النبي عليه السلام بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر
عليه وقال بسم الله كما امره قال فرايت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت
الجفنة واستدارت حتى امتلات وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا
فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة

٧٨

وهي ملاء. **وعن الشعبي** ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي في بعض اسفاره
باداوة ماء وقيل له ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها في ركوة ووضع
اصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤون ثم يقومون
قال الترمذي رحمه الله وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا في هذه
المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم
كانوا اسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولانهم
كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا
حضور الجم الغفير ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم
فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له.

فصل

ومما يشبه هذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم تفجير الماء ببركته
وانبعاثه بمسه ودعوته مما روى مالك في الموطا عن معاذ بن جبل رضي الله
عنه في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء
مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى
الناس. قال في حديث ابن اسحاق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق
قال الراوي ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما هاهنا قد
ملئ جنانا. وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع وحديثه اتم في قصة
الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها
فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال
البراء واتي بدلو منها فبصق ودعا وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها
فجاشت فارووا انفسهم وركابهم. وفي غير هذه الروايتين في هذه
القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فاخرج سهما من كنانته
فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروى الناس حتى ضربوا بعطن. وعن

الجبا ما حول البير والجبا بالكسر ما يجمع في الحوض من الماء

وعن أبي قتادة وذكر أن الناس شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش
في بعض أسفاره فدعا بالميضأة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله أعلم
نفث فيها أم لا فشرب الناس حتى رووا وملؤوا كل إناء معهم فخيل إلي أنها
كما أخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروى مثله عمران بن حصين

وذكر الطبري في حديث أبي قتادة على غير ما ذكره أهل الصحيح
وأن النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم ممدا لأهل مؤتة عند ما بلغه قتل
الأمراء وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وآيات للنبي عليه السلام وفيه
إعلامهم أنهم يفقدون الماء في غد وذكر حديث الميضأة قال والقوم
زهاء ثلاثمائة وفي كتاب مسلم أنه قال لأبي قتادة احفظ علي ميضأتك
فإنه سيكون لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين
أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عطش في بعض أسفارهم فوجه
رجلين من أصحابه وأعلمهما أنهما يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير عليه
مزادتان الحديث فوجداها وأتيا بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في إناء من
مزادتيها وقال فيه ما شاء الله أن يقول ثم أعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما
وأمر الناس فملؤوا أسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا إلا ملؤوه قال عمران ويخيل
إلي أنهما لم تزدادا إلا امتلاء ثم أمر فجمع للمرأة من الأزواد حتى ملأ ثوبها
وقال اذهبي فإنا لم نأخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال نبي الله صلى الله عليه وسلم
هل من وضوء فجاء رجل بإداوة فيها نطفة فأفرغها في قدح فتوضأنا كلنا
ندغفقه دغفقة أربع عشرة مائة وفي حديث عمر رضي الله عنه في جيش
العسرة وذكر ما أصابهم من العطش حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه
فيشربه فرغب أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم
يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤوا ما معهم من آنية ولم تجاوز

العسكر وعن عمرو بن شعيب أن أبا طالب قال للنبي عليه السلام وهو رديفه
بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه
الأرض فخرج الماء وقال اشرب والحديث في هذا الباب كثير ومنه الإجابة
بدعاء الاستسقاء وما جانسه :

فصل ومن معجزاته عليه السلام

تكثير الطعام ببركته ودعائه صلى الله عليه وسلم نا القاضي الشهيد
أبو علي رحمه الله نا العذري نا الرازي نا الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم بن الحجاج
نا سلمة بن شبيب نا الحسن بن أعين نا معقل عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه
أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير فما زال
يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله فأتى النبي عليه السلام فأخبره فقال
لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم : ومن ذلك حديث أبي طلحة المشهور
وإطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين أو سبعين رجلا من أقراص من شعير جاء به
أنس تحت يده أي إبطه فأمر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله أن يقول

وحديث جابر في إطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ألف رجل من
صاع شعير وعناق فقال جابر فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن
برمتنا لتغط كما هي وإن عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق
في العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد بن ميناء وأيمن وعن ثابت مثله
عن رجل من الأنصار وامرأته ولم يسمهما قال وجيء بمثل الكف فجعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الإناء ويقول ما شاء الله فأكل من في البيت
والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلأ ممن قدم معه عليه السلام لذلك وبقي
بعد ما شبعوا مثل ما كان في الإناء : وحديث أبي أيوب أنه صنع لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي
عليه السلام ادع ثلاثين من أشراف الأنصار فدعاهم فأكلوا حتى تركوا
ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فأكلوا حتى تركوا

وما خرج منهم أحد إلا حتى أسلم وبايع قال أبو أيوب فأكل من طعامي مائة
وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب أتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة
فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون ومن
ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين
ومائة وذكر في الحديث أنه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد
بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حز له حزة من سواد بطنها
ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون وفضل في القصعتين فحملته على
البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري عن أبيه ومثله
لسلمة بن الأكوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا مخمصة أصابت الناس
مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الأزواد فجاء
الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك وأعلاهم الذي أتى بالصاع من
التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس
بأوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء إلا ملؤوه وبقي منه **وعن أبي هريرة**
أمرني النبي صلى الله عليه وسلم أن أدعو له أهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم
فوضعت بين أيدينا صحفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت
إلا أن فيها أثر الأصابع وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا أربعين منهم قوم يأكلون
الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي
كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كأنه لم يشرب وقال أنس
إن النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب أمرني أن أدعو له قوما سماهم
وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة فقدم إليهم تورا فيه قدر مد من
تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث أصابعه وجعل القوم يتغدون
ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم أحدا أو اثنين

وسبعين رجلا وفي رواية أخرى في هذه القصة أو مثلها أن القوم كانوا
زهاء ثلاثمائة وأنهم أكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا أدري حين
وضعت كان أكثر أم حين رفعت وفي حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن علي
رضي الله عنه أن فاطمة طبخت قدر الغداء ووجهت عليا إلى النبي
صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فأمرها فغرفت منها لجميع نسائه ثم له عليه السلام
ولعلي ثم لها ثم رفعت القدر وإنها لتفيض قالت فأكلنا منها ما شاء الله
وأمر عمر بن الخطاب أن يزود أربعمائة راكب من أحمس فقال يا رسول الله ما هي
إلا أصوع قال اذهب فذهب فزودهم منها وكان قدر الفصيل الرابض
من التمر وبقي بحاله من رواية دكين الأحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية
النعمان بن مقرن الخبر بعينه إلا أنه قال أربعمائة راكب من مزينة ومن ذلك حديث
جابر في دين أبيه بعد موته وقد كان بذل الغرماء أصل ماله فلم يقبلوه ولم
يكن في تمرها سنين كفاف دينهم فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أمره
بجدها وجعلها بيادر في أصولها فمشى فيها ودعا فأوفى منه جابر غرماءه
وفضل مثل ما كانوا يجدون في كل سنة وفي رواية مثل ما أعطاهم قال وكان
الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال أبو هريرة أصاب الناس مخمصة فقال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال
فأتني به فأدخل يده صلى الله عليه وسلم فأخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة
ثم قال ادع عشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى أطعم الجيش
كلهم وشبعوا وقال خذ ما جئت به وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبه
فقبضت على أكثر مما جئت به فأكلت منه وأطعمت حياة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأبي بكر وعمر إلى أن قتل عثمان فانتهب مني فذهب وفي رواية فقد حملت
من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله وذكر مثل هذه الحكاية
في غزوة تبوك وأن التمر كان بضع عشرة تمرة ومنه أيضا حديث أبي هريرة

رضي الله عنه حين أصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا
في قدح قد أهدي إليه وأمره أن يدعو أهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم
كنت أحق أن أصيب منه شربة أتقوى بها فدعوتهم وذكر أمر النبي صلى الله
عليه وسلم له أن يسقيهم فجعلت أعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم يأخذه الآخر
حتى روي جميعهم قال فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت أنا وأنت
اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها وأشرب حتى قلت لا والذي بعثك
بالحق ما أجد له مسلكا فأخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث
خالد كثيرا يذبح الشاة فلا يبد عياله عظما عظما وأن النبي صلى الله عليه وسلم
أكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثره لـ
لعياله فأكلوا وأفضلوا ذكره الدولابي ومن حديث الأعمش في انكاح
النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بلالا بقصعة
من أربعة أمداد أو خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال فأتيته بذلك فطعن في
رأسها ثم أدخل الناس رفقة رفقة يأكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة
فبرك فيها وأمر بحملها إلى أزواجه وقال كلن وأطعمن من غشيكن وفي
حديث أنس تزوج النبي صلى الله عليه وسلم فصنعت له أم سليم حيسا فجعلته في
تور وذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ادع فلانا وفلانا
ومن لقيت فدعوتهم ولم أدع أحدا لقيته إلا دعوته وذكر أنهم كانوا زهاء
ثلاث مائة حتى ملؤوا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الطعام فدعا فيه
وقال ما شاء الله أن يقول فأكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما أدري
حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت. وأكثر أحاديث هذه الفصول
الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر
من الصحابة رواه عنهم أضعافهم من التابعين ثم من لا ينعد بعدهم وأكثرها في

(في الهامش: اصلا — بن عبد العزى أنه أجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد)

في قصص مشهورة ومجامع مشهودة ولا يمكن التحدث عنها إلا بالحق ولا
يسكت الحاضر لها على ما أنكر

فصل في كلام الشجرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته صلى الله عليه وسلم

حدثنا أحمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما أجازنيه عن أبي عمر
الطلمنكي عن أبي بكر بن المهندس عن أبي القاسم البغوي ثنا أحمد بن
عمران الأخنسي ثنا أبو حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر
رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه
أعرابي فقال يا أعرابي أين تريد قال إلى أهلي قال هل لك إلى خير قال وما
هو قال تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله
من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي
عمما قبل أنها تجيبك قال فدعاها فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين
يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت أنه كما قال ثم رجعت إلى مكانها وعن
ابن بريدة سأل أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول
الله يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها
فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الأرض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله
قال الأعرابي مرها فلترجع إلى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك
الموضع فاستوت فقال الأعرابي ائذن لي أن أسجد لك قال لو أمرت أحدا
أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها قال فأذن لي أن أقبل يديك
ورجليك فأذن له. وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل
ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به

(في الهامش: السمر الشجر له شوك قاله أبو عبيد — أو تشق — ببعض خ)

فجاء إذا بشجرتين بشط الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما
فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادي علي بإذن الله فانقادت معه
كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر أنه فعل بالأخرى مثل ذلك حتى
إذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي بإذن الله فالتأمتا وفي رواية أخرى
فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي
بصاحبتك حتى أجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها
فجلس خلفهما فخرجت أحضر وجلست أحدث نفسي فالتفت فإذا رسول الله صلى
الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق
فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا *
وروى أسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه
هل من مكان لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إن الوادي ما فيه موضع
بالناس فقال هل ترى من نخل أو حجارة قلت أرى نخلات متقاربات قال انطلق
وقل لهن إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركن أن تأتين لمخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت
النخلات يتقاربن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن
يفترقن فوالذي نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى عدن إلى مواضعهن وقال
يعلى بن سيابة رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر
نحوا من هذين الحديثين وذكر فأمر وديتين فانضمتا وفي رواية أشاءتين
وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن مسعود رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن
سيابة أيضا وذكر أشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أن طلحة
أو سمرة جاءت فأطافت به ثم رجعت إلى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إنها استأذنت أن تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

خ: يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة

الودي صغار النخل

آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن
مسعود في هذا الحديث أن الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة
فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل هذا الحديث الأول أو نحوه
قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه فهذا ابن عمر وبريدة وجابر
وابن مسعود ويعلى بن مرة وأسامة بن زيد وأنس بن مالك وعلي بن أبي طالب
وابن عباس رضي الله عنهم وغيرهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها أو معناها
ورواها عنهم من التابعين أضعافهم فصارت في انتشارها من القوة حيث
هي. **فصل في قصة حنين الجذع** ويعضد هذه الأخبار قصة حنين
الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر خرجه أهل الصحيح ورواه
من الصحابة رضي الله عنهم بضعة عشر منهم أبي بن كعب وجابر بن عبد الله
وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وأبو
سعيد الخدري وبريدة وأم سلمة والمطلب بن أبي وداعة كلهم
يحدث بمعنى هذا الحديث **قال الترمذي** وحديث أنس صحيح **قال جابر
بن عبد الله** كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه
وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا
كصوت العشار وفي رواية أنس حتى ارتج المسجد لخواره وفي رواية سهل
وكثر بكاء الناس لما رأوا به **وفي رواية المطلب** وأبي حتى تصدع وانشق
حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال
النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي
بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل
بن سعد وإسحاق عن أنس وفي بعض الروايات عن سهل فدفن تحت منبره أو جعل
في السقف وفي حديث أبي فكان إذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى إليه

حنين الجذع

ولما هدم المسجد أخذه أبي فكان عنده إلى أن أكلته الأرضة وعاد رفاتا
وذكر الإسفرايني أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه إلى نفسه فجاءه يخرق
الأرض فالتزمه ثم أمره فعاد إلى مكانه. وفي حديث بريدة فقال يعني النبي
عليه السلام إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك
ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل
أولياء الله من ثمرك ثم أصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال
بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه
فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار
البقاء على دار الفناء فكان الحسن إذا حدث به بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم شوقا إليه لمكانه فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه
رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص وأيمن وأبو نضرة
وابن المسيب وسعيد بن أبي كرب وكريب وأبو صالح. ورواه أنس
بن مالك والحسن وثابت وإسحاق بن أبي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وأبو حية
ورواه أبو نضرة وأبو الوداك عن أبي سعيد وعمار بن أبي عمار عن ابن
عباس وأبو حازم وعباس بن سهل عن سهل بن سعد وكثير بن زيد
عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن أبيه والطفيل بن أبي عن أبيه
قال الفقيه القاضي أبو الفضل رضي الله عنه فهذا حديث كما
تراه خرجه أهل الصحة ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين
ضعفهم إلى من لم نذكره ومن دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا
الباب والله المثبت على الصواب. **وذكر ابن فورك أنه صلى الله عليه
وسلم** سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت
له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين إلى وقتنا هذا قال للنبي عليه
السلام وقد رآه حزينا أتحب أن أريك آية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه
قال مرها فلترجع فعادت إلى مكانها. وعن علي رضي الله عنه نحو هذا ولم يذكر
فيها جبريل وقال اللهم أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر
مثله وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له.
وذكر ابن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم أرى ركانة مثل هذه الآية في شجرة
دعاها فأتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت. **وعن الحسن**
أنه عليه السلام شكا إلى ربه من قومه وأنهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها ألا
مخافة عليه فأوحى الله إليه أن ائت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك
ففعل فجاءه يخط الأرض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال
له ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت أن لا مخافة علي. ونحو منه عن عمر
وقال فيه أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها. **وعن ابن عباس** رضي الله عنه
أنه صلى الله عليه وسلم قال لأعرابي أرأيت إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة
أتشهد أني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى أتاه فقال ارجع فعاد
إلى مكانه. وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح.

فصل

ومثل هذا في سائر الجمادات نا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي
نا القاضي أبو عبد الله محمد بن المرابط نا المهلب أبو القاسم نا أبو الحسن القابسي
نا المروزي نا الفربري نا البخاري نا محمد بن المثنى نا أبو أحمد الزبيري قال نا إسرائيل
عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام
وهو يؤكل. وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود كنا نأكل مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه. **وقال أنس** رضي الله
عنه أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن ثم في أيدينا
فما سبحن. وروى مثله أبو ذر رضي الله عنه وذكر أنهن سبحن في كف عمر

وعن علي رضي الله عنه كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلى بعض نواحيها
فما استقبله شجرة ولا جبل إلا قال له السلام عليك يا رسول الله. وعن جابر
بن سمرة عنه عليه السلام إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل إنه الحجر
الأسود. وعن عائشة رضي الله عنها لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت
لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله. وعن جابر بن عبد الله
لم يكن صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له. وفي حديث العباس رضي الله
عنه إذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر
من النار كستره إياهم بملاءته فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين.
وعن جعفر بن محمد عن أبيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل بطبق
فيه رمان وعنب فأكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح. وعن أنس صعد
النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان أحدا فرجف بهم فقال اثبت أحد
فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان. ومثله عن أبي هريرة في حراء وزاد معه
وعلي وطلحة والزبير وقال فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد. والخبر في حراء
أيضا عن عثمان قال ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا
قال ونسيت الاثنين. وفي حديث سعيد بن زيد أيضا مثله وذكر عشرة وزاد
نفسه. وقد روي أنه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فإني
أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال حراء إلي يا رسول الله. وروى
ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق
قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه أنا الجبار أنا الجبار أنا الكبير المتعال فرجف
المنبر حتى قلنا ليخرن عنه. وعن ابن عباس كان حول البيت ستون
وثلاثمائة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده إليها
ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل الآية. فما أشار إلى وجه صنم إلا

٨٤

وقع لقفاه ولا لقفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم. ومثله في حديث
ابن مسعود وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد.
ومن ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء أمره إذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب
لا يخرج إلى أحد فخرج وجعل يتخللهم حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش ما علمك
فقال إنه لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا له ولا تسجد إلا لنبي. وذكر القصة
ثم قال وأقبل صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم
قد سبقوه إلى فيء شجرة فلما جلس مال الفيء إليه صلى الله عليه وسلم. فصل
في الآيات في ضروب الحيوانات. حدثنا سراج بن عبد الملك أبو
الحسين الحافظ نا القاضي يونس نا أبو الفضل الصقلي نا ثابت بن قاسم بن ثابت
عن أبيه وجده قالا نا أبو العلاء أحمد بن عمران نا محمد بن فضيل نا يونس بن عمرو نا
مجاهد عن عائشة رضي الله عنها قالت كان عندنا داجن فإذا كان عندنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب وإذا خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم جاء وذهب. وروي عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا
نبي الله فقال واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي
النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فأجابه بلسان
مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد
قال الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته
وفي النار عقابه قال فمن أنا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من
صدقك وخاب من كذبك فأسلم الأعرابي. ومن ذلك قصة كلام
الذئب المشهورة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بينا راع يرعى غنما
له عرض الذئب لشاة منها فأخذها الراعي منه فأقعى الذئب وقال للراعي

الا تتقي الله تحول بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من ذيب يتكلم بكلام الانس
فقال الذيب الا اخبرك باعجب من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يخبر
الناس بانباء ما سبق فاتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي صلى
الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق وفي الحديث فيه قصة وفي بعضه طول وروى
حديث الذيب عن ابي هريرة رضي الله عنه وفي بعض الطرق عن ابي هريرة فقال
الذيب انت اعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط نبيا اعظم
منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم
وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي
قال الذيب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته
واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذيب شاة منها وعن
اهبان بن اوس وانه كان صاحب القصة والمحدث بها ومكلم الذيب وعن سلمة
بن الاكوع وانه كان صاحب القصة ايضا وسبب اسلامه مثل حديث ابي
سعيد وقد روى ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية مع
ذيب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذيب فعجبا من ذلك فقال
الذيب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال
ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد
روي هذا الخبر انه جرى لابي جهل واصحابه وعن عباس بن مرداس رضي الله
عنه لما تعجب من كلام ضمار صنمه ولا تعجب من نفسك وان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يدعوا الى الاسلام وانت جالس وكان سبب اسلامه وعن
جابر بن عبد الله ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وهو على بعض
حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم
فقال احصب وجوهها فان الله سيؤدي عنك امانتك وردها الى اهلها

مثل ... شاة النبي انه ... النبي عليه السلام ... وقال يا ... تعجب من كلام ضمار

ويبعث فيها في كل شاة حتى دخلت الى اهلها وعن انس دخل النبي صلى الله عليه
وسلم حائطا للانصار وابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفي الحائط غنم فسجدت
له فقال ابو بكر رضي الله عنه نحن احق بالسجود لك منها الحديث وعن
ابي هريرة رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد
له وذكر مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة
وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل احد الحائط الا شد عليه الجمل فلما
دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في الارض وبرك بين
يديه فخطمه وقال ما بين السماء والارض شيء الا يعلم اني رسول الله الا عاصي
الجن والانس ومثله عن عبد الله بن ابي اوفى وفي حديث اخر في حديث
الجمل ان النبي صلى الله عليه وسلم سالهم عن شانه فاخبروه انهم ارادوا ذبحه
وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه شكا كثرة العمل وقلة
العلف وفي رواية انه شكا الي انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه
في شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء
وكلامها للنبي صلى الله عليه وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب
اليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها ونداءهم لها انها لمحمد صلى الله عليه وسلم
وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الاسفرايني وروى
ابن وهب ان حمام مكة اظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا
لها بالبركة وروي عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم
ان النبي عليه السلام ليلة الغار امر الله شجرة فنبتت تجاه النبي صلى الله
عليه وسلم فسترته وامر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي حديث اخر وان
العنكبوت نسجت على بابه فلما اتى الطالبون له وراوا ذلك قالوا
لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع
كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله ابن قرط قرب الى رسول الله ص

صلى الله عليه وسلم بدنات خمسا أو ستا أو سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن
إليه بأيتهن يبدأ. وعن أم سلمة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه
وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني
هذا الأعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما
وأرجع قال وتفعلين قالت نعم فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها
فانتبه الأعرابي وقال يا رسول الله ألك حاجة قال تطلق هذه الظبية فأ
طلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول
الله. ومن هذا الباب ما روي من تسخير الأسد لسفينة مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذ وجهه إلى معاذ باليمن فلقي الأسد فعرفه أنه مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه
مثل ذلك وفي رواية أخرى عنه أن سفينة تكسرت به فخرج إلى جزيرة فإذا
الأسد فقلت أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى
أقامني على الطريق وأخذ عليه السلام بأذن شاة لقوم من عبد القيس
بين أصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي ذلك الأثر فيها وفي نسلها
بعد. وما روي عن إبراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار الذي أصابه بخيبر وقال
له اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وأنه كان
يوجهه إلى دور أصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم وأن
النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات. وحديث
الناقة التي شهدت عند النبي عليه السلام لصاحبها أنه ما سرقها وأنها
ملكه. وفي العنز التي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد
أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلاثمائة فحلبها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأروى الجند ثم قال لرافع املكها وما أراك فربطها
فوجدها قد انطلقت. رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم إن الذي جاء بها هو الذي ذهب بها. وقال لفرسه عليه السلام
وقد قام إلى الصلاة في بعض أسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من
صلاتنا وجعلها قبلته فما حرك عضوا حتى صلى صلى الله عليه وسلم
والحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور منه وما وقع في
كتب الأئمة ويلحق بهذا ما رواه الواقدي أن النبي عليه السلام لما وجه
رسله إلى الملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فأصبح كل رجل منهم يتكلم
بلسان القوم الذين بعثه إليهم

فصل في إحياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة صلى الله عليه وسلم

نا أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي
أبو الوليد محمد بن رشد والقاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي
وغير واحد سماعا وإجازة قالوا نا أبو علي الحافظ قال نا أبو عمر الحافظ
نا أبو زيد عبد الرحمن بن يحيى نا أحمد بن سعيد نا ابن الأعرابي نا أبو داود نا
وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة
رضي الله عنه أن يهودية أهدت بخيبر للنبي صلى الله عليه وسلم شاة مصلية
سمتها فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأكل القوم وقال
ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال
لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت إن كنت نبيا لم يضرك الذي
صنعت وإن كنت ملكا أرحت الناس منك قال فأمر بها فقتلت
وقد روى هذا الحديث أنس وفيه قالت أردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك
على ذلك فقالوا ألا نقتلها قال لا وكذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه
من رواية غير وهب قال فما عرض لها ورواه أيضا جابر بن عبد الله وفيه
أخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها. وفي رواية الحسن إن فخذها يكلمني
أنها مسمومة. وفي رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن فقالت إني مسمومة

ونسر الذي ذكره ابن إسحاق فقال فيه فتجاوز عنهما وفي الحديث الآخر
عن أنس أنه قال رضي الله عنه فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي
مات منه ما زالت أكلة خيبر تعاودني فالآن أوان قطعت أبهري وحكى
ابن إسحاق أن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا
مع ما أكرمه الله تعالى به من النبوة . وقال ابن سحنون أجمع أهل الحديث
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف
الروايات في ذلك عن أبي هريرة وأنس وجابر رحمهما الله وروى الحديث البزار
عن أبي سعيد فذكر مثله إلا أنه قال في آخره فبسط يده وقال كلوا باسم الله
فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر أحدا منا قال الفقيه
القاضي أبو الفضل رضي الله عنه وقد خرج حديث
الشاة المسمومة أهل الصحيح وخرجه الأئمة وهو حديث مشهور
واختلف أئمة أهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله
تعالى في الشاة الميتة أو الحجر أو الشجرة وحروف وأصوات يحدثها الله فيها
ويسمعها منها دون تغيير أشكالها ونقلها عن هيئتها . وهو مذهب
الشيخ أبي الحسن والقاضي أبي بكر رحمهما الله . وآخرون ذهبوا إلى إيجاد
الحياة بها أولا ثم الكلام بعده وحكي هذا أيضا عن شيخنا أبي الحسن
وكل محتمل والله أعلم قال القاضي رضي الله عنه إذ لم نجعل
الحياة شرطا لوجود الحروف والأصوات إذ لا يستحيل وجودها مع
عدم الحياة بمجردها فأما إذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من
شرط الحياة لها إذ لا يوجد كلام النفس إلا من حي خلافا للجبائي من
سائر متكلمي المعتزلة في إحالة وجود الكلام اللفظي والحروف والأصوات
إلا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والأصوات

والقرآن ذلك في الحصا والجذع والذراع . وقال إن الله خلق فيها حياة
وخلق لها فما ولسانا وآلة أمكنها بها من الكلام وهذا لو كان
لكان نقله والتهمم به آكد من التهمم بنقل تسبيحه أو حنينه ولم
ينقل أحد من أهل السير والرواية شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه
مع أنه لا ضرورة إليه في النظر والموفق الله . وروى وكيع رفعه
عن فهر بن عصية أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بصبي قد شب لم يتكلم
قط فقال من أنا فقال رسول الله وروي عن معرض بن معيقيب رأيت من النبي
صلى الله عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله . وهو حديث
مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى
شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة
الوداع وعن الحسن أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له أنه
طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه إلى الوادي وناداها باسمها يا
فلانة أجيبي بإذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها
إن أبويك قد أسلما فإن أحببت أن أردك عليهما قالت لا حاجة لي
فيهما وجدت الله خيرا لي منهما . وعن أنس رضي الله عنه أن شابا من
الأنصار توفي وله أم عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني
قلنا نعم قالت اللهم إن كنت تعلم أني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء
أن تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة فما برحنا أن كشف
الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا . وروي عن عبد الله بن عبيد الله الأنصاري
قال كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة
فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر
الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا فإذا هو ميت وذكر عن النعمان بن

بن بشير رضي الله عنه أن زيد بن خارجة خر ميتا في بعض أزقة المدينة
فرفع وسجي إذ سمعوه بين العشاءين والنساء يصرخن حوله يقول
أنصتوا أنصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الأمي
وخاتم النبيين كان ذلك في الكتاب الأول ثم قال صدق صدق وذكر
أبا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته
ثم عاد ميتا كما كان فسبحان الفرد لا إله إلا هو.

فصل

في إبراء المرضى وذوي العاهات وبركته صلى الله عليه وسلم

أخبرنا أبو الحسن علي بن مشرف فيما أجازنيه وقرأته على غيره قال نا أبو
إسحق الحبال نا [illegible] بن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقصة
أحد بطولها قال وقالوا وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليناولني النبل ويقول ارم به وقد رمى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت وأصيب يومئذ
عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه. وروى قصة قتادة عاصم
بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة ورواها أبو سعيد الخدري
عن قتادة. وبصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة في يوم ذي قرد
قال فما ضرب علي ولا قاح. وروى النسائي عن عثمان بن حنيف
أن أعمى قال يا رسول الله ادع الله أن يكشف لي عن بصري قال فانطلق
فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيي
محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصري اللهم
شفعه في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره. وروي أن ابن
ملاعب الأسنة أصابه استسقاء فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فأخذ بيده حثوة من الأرض فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فأخذها

فجعل [illegible] فأتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله
وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال فريك أن أباه ابيضت
عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عينيه فأبصر فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين ورمي
كلثوم بن الحصين يوم أحد في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه فبرأ. وتفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تمد. وتفل في عيني علي
يوم خيبر وكان رمدا فأصبح بارئا. ونفث على ضربة بساق سلمة بن
الأكوع يوم خيبر فبرئت. وفي رجل زيد بن معاذ حين أصابها السيف
إلى الكعب حين قتل ابن الأشرف فبرئت. وعلى ساق علي بن الحكم يوم
الخندق إذ انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه. واشتكى علي بن
أبي طالب فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه أو
عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد. وقطع أبو
جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وألصقها فلصقت رواه ابن وهب. ومن روايته أيضا
أن خبيب بن يساف أصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة
على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه
حتى صح. وأتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فأتي بماء
فمضمض فاه وغسل يديه ثم أعطاها إياه وأمرها بسقيه ومسه به
فبرئ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس. وعن ابن عباس رضي
الله عنه جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من
جوفه مثل الجرو الأسود فسعى. وانكفأت القدر على ذراع محمد
بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرئ لحينه. وكانت
في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة

وشكا إليه النبي صلى الله عليه وسلم فما زال يجمعهما بكيفية حتى زوجهما ولم
يزل بينهما أن وسألته جارية طعاما وهو يأكل قديدا فناولها من بين
يديه وكانت قليلة الحياء فقالت إنما أريد من الذي في فيك فناولها
ما في فيه ولم يكن يسئل شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها ألقي عليها
من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها

فصل في إجابة دعائه عليه السلام وهذا باب واسع
جدا وإجابة دعوة النبي عليه السلام لجماعة بما دعا لهم وعليهم
متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث
حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لرجل أدركت الدعوة
ولده وولد ولده نا أبو محمد العتابي بقراءتي عليه نا أبو القاسم حاتم
بن محمد نا أبو الحسن القابسي نا أبو زيد المروزي نا محمد بن يوسف نا محمد
ابن إسماعيل نا عبد الله بن أبي الأسود نا حرمي نا شعبة عن قتادة
عن أنس قال قالت أمي يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له قال اللهم
أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته ومن رواية عكرمة قال أنس رضي
الله عنه فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون اليوم على نحو أن
المائة وفي رواية وما أعلم أحدا أصاب من رخاء العيش ما أصبت و
لقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا أقول سقطا ولا ولد ولد ومنه
دعاؤه صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد
الرحمن رضي الله عنه فلو رفعت حجرا لرجوت أن أصيب تحته ذهبا
وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه
الأيدي وأخذت كل زوجة ثمانين ألفا وكن أربعا وقيل مائة ألف
وقيل بل صولحت إحداهن لأنه طلقها في مرضه على نيف وثمانين ألفا ثمانين ألفا
وقيل مائة ألف وأوصى بخمسين ألفا بعد صدقاته الفاشية في حياته

وعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة
بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها
وأحلاسها ودعا لمعاوية رضي الله عنه بالتمكين في البلاد فنال
الخلافة ولسعد بن أبي وقاص أن يجيب الله دعوته فما دعا على أحد
إلا استجيب له ودعا بعز الإسلام بعمر أو بأبي جهل فاستجيب له
في عمر قال ابن مسعود رضي الله عنه ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر رضي
الله عنه وأصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء فدعا
فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم أقلعت ودعا في الاستسقاء فسقوا
ثم شكوا إليه المطر فدعا فصحوا وقال للنابغة اللهم بارك له في شعره
... وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة سنة وقال
له دعه لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان أحسن
الناس ثغرا إذا سقطت له سن نبتت له أخرى وعاش عشرين ومائة سنة وقيل
أكثر ودعا لابن عباس رضي الله عنه اللهم فقهه في الدين
وعلمه التأويل فسمي بعد الحبر وترجمان القرآن ودعا لعبد الله بن لعبد الله بن جعفر
جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا إلا ربح فيه ودعا
للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ودعا بمثله لعروة بن
أبي الجعد قال فلقد كنت أقوم بالكناسة فما أرجع حتى أربح أربعين
ألفا وقال البخاري في حديثه فكان لو اشترى التراب ربح فيه
وروي مثل هذا لغرقدة أيضا وندت له صلى الله عليه وسلم ناقة فدعا فجاء
بها إعصار ريح حتى ردها عليه ودعا لأم أبي هريرة رضي الله عنه فأسلمت
ودعا لعلي رضي الله عنه أن يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب
الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ودعا لفاطمة
رضي الله عنها ألا يجيعها الله قالت فما جعت بعد وسأله الطفيل

بن عمرو الى قومه وقال اللهم نوّر له فسطع له نور بين عينيه فقال
يا رب اخاف ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة
المظلمة فسمي ذا النور ودعا على مضر فاقحطوا حتى استعطفته قريش
فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق الله ملكه فلم
تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في اقطار الدنيا ودعا على صبي
قطع عليه الصلاة ان يقطع الله اثره فأقعد وقال لرجل رآه ياكل بشماله
كل بيمينك فقال لا استطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال
لعتبة ابن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وقال
لامراة اكلها الاسد فاكلها وحديثه المشهور من رواية عبد الله
بن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد مع
القرشي والدم وسماهم قال فلقد رايتهم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم بن
ابي العاصي وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه
لا فرآه فقال كذلك فكن فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا على محلم
بن جثامة فمات لسبع فلفظته الارض ثم ووري فلفظته مرات فالقوه
بين صدين ورضموا عليه بالحجارة وجحده رجل بيع فرس وهي التي
شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي صلى الله
عليه وسلم على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها فاصبحت
شاصية برجلها اي رافعة وهذا الباب اكثر من ان يحاط به

فصل في كرامته صلى الله عليه وسلم وبركاته وانقلاب الاعيان له فيما لمسه او باشره عليه السلام

حدثنا احمد بن محمد نا ابو بكر الهروي اجازة ونا القاضي ابو علي سماعا
والقاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا نا ابو الوليد
القاضي نا ابو ذر نا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم نا الفربري نا

نا البخاري نا محمد بن بشار نا يزيد بن زريع نا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك رضي الله عنه
ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابي
طلحة كان يقطف او به قطاف وقال غيره يبطأ فلما رجع قال وجدنا
فرسك بحرا فكان بعد لا يجارى ونخس جملا لجابر وكان قد اعيا فنشط
حتى كان ما يملك زمامه وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعي
خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك راسها نشاطا وباع
من بطنها باثني عشر الفا وركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة
فرده هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم في
قلنسوة خالد بن الوليد رضي الله عنه فلم يشهد بها قتالا الا رزق
النصر وفي الصحيح عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنه انها اخرجت
جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن
نغسلها للمرضى يستشفى بها وانا القاضي ابو عبد الله عن شيخه
ابي القاسم بن المامون قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى
الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها واخذ
جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان ليكسره على ركبته فصاح
الناس فاخذته في الآكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب
النبي صلى الله عليه وسلم من فضل وضوئه في بير قباء فما نزفت بعد وبصق
في بير كانت في دار انس فلم يكن بالمدينة اعذب منها ومر على ماء فسال
عنه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب
فطاب واتي صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب من المسك
واعطى الحسن والحسين عليهما السلام لسانه فمصاه وكانا يبكيان
عطشا فسكتا وكان لام مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم
سمنا فامرها النبي صلى الله عليه وسلم الا تعصرها ثم دفعها اليها

فإذا هي مملوءة سمنا فيأتيها بنوها يسألونها الأدم وليس عندهم شيء
فتعمد إليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم أدمها حتى عصرتها وكان
يتفل في أفواه الصبيان المراضع فيجزئهم ريقه إلى الليل **ومن ذلك**
بركته في التمر وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلاث مائة ودية
يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى أربعين أوقية من ذهب فقام عليه
السلام وغرسها له بيده [illegible] إلا واحدة غرسها غيره فقلعها
النبي عليه السلام وردها فأخذت وفي كتاب البزار فأطعم النخل من عامه
إلا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فأطعمت من
عامها وأعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد أن أدارها على لسانه
فوزن منها لمواليه أربعين أوقية وبقي عنده مثل ما أعطاهم وفي حديث
حنش بن عقيل رضي الله عنه سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من
سويق شرب أولها وشربت آخرها فما برحت أجد شبعها إذا جعت شبعها
وريها إذا عطشت وبردها إذا ظمئت وأعطى قتادة بن النعمان وصلى معه
العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فإنه سيضيء لك
من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فإذا دخلت بيتك فسترى
[illegible] سوادا فاضربه حتى يخرج فإنه الشيطان فانطلق فأضاء له العرجون
حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج **ومنها** دفعه لعكاشة
جذل حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده
صارما طويل القامة أبيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به
المواقف إلى أن استشهد في قتال أهل الردة وكان هذا السيف يسمى
العون ودفع عليه السلام لعبد الله بن جحش يوم أحد وقد ذهب سيفه
عسيب نخل فرجع في يده سيفا **ومنه** بركته عليه السلام في درور
الشياه الحوائل باللبن الكثير كقصة شاة أم معبد وأعنز معاوية

بن ثور وشاة أنس وغنم حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود
وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد **ومن ذلك** تزويده أصحابه سقاء
ماء بعد أن أوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه فإذا به
لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمة **ومسح** على رأس عمير بن سعد
وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وروي مثل هذه القصة عن غير واحد
منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب
طيب نسائه لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره
وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت
له غرة كغرة الفرس ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك
وهو ابن مائة سنة ورأسه أبيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما
مرت يده عليه من شعره أسود فكان يدعى الأغر وروي مثل هذه الحكاية
لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه آخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه
قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة
ووضع يده عليه السلام على رأس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان
حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع
كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ونضح على وجه زينب بنت أم
سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما بها ومسح
صلى الله عليه وسلم على رأس صبي به عاهة فبرئ واستوى شعره ومثله في
[illegible] وعلى غير واحد من الصبيان والمرضى والمجانين فبرئوا وأتاه
رجل به أدرة فأمره أن ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرئ وعن طاوس لم
يؤت النبي صلى الله عليه وسلم بأحد به مس فصك في صدره إلا ذهب المس والجنون
ومج عليه السلام في دلو من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك وأخذ
قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه

بشيء ... وشكا إليه أبو هريرة
وغرف بيده فيه ثم أمره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد. وروي مثله في حديث
أن النبي ... وضرب في صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان ذكر له أنه لا يثبت
على الخيل فصار من أفرس العرب وأثبتهم. ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن
الخطاب وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما
وما يروى عنه في هذا كثير. **فصل** ومن ذلك ما أطلع
عليه من الغيوب وما يكون والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره
ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا
خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب
نا الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهري إجازة وقراءة على غيره قال أبو بكر نا
أبو علي التستري نا أبو عمر الهاشمي نا اللؤلؤي نا أبو داود نا عثمان بن
أبي شيبة نا جرير عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة رضي الله عنه قال قام فينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام
الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء
وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا
غاب عنه ثم إذا رآه عرفه ثم قال حذيفة رضي الله عنه ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه
والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا
من معه ثلاثمائة فصاعدا إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته
وقال أبو ذر رضي الله عنه لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك
طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما **وقد خرج أهل الصحيح**
والأئمة ما أعلم به أصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على
أعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الأمن
حتى تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله وأن المدينة ستغزى وتفتح

خيبر على يدي علي في غد يومه وما يفتح الله على أمته من الدنيا ويؤتون من
زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف
والأهواء وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية
منها واحدة وأنها ستكون لهم أنماط ويغدو أحدهم في حلة ويروح في
أخرى وتوضع بين يديه صحفة وترفع أخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة
ثم قال آخر الحديث وأنتم اليوم خير منكم يومئذ وأنهم إذا مشوا المطيطاء وخدمتهم
بنات فارس والروم رد الله بأسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم
الترك والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده
وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر أن الروم ذات قرون إلى آخر الدهر وبذهاب
الأمثل فالأمثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج
وقال ويل للعرب من شر قد اقترب وأنه زويت له الأرض فأري مشارقها
ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي له منها ولذلك كان امتدادها في المشارق
والمغارب ما بين أرض الهند أقصى المشرق إلى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك
ما لم تملكه أمة من الأمم ولم يمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك وقوله عليه
السلام لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني
إلى أنهم العرب لأنهم المختصون بالسقي بالغرب وهي الدلو. وغيره يذهب إلى
أنهم أهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه. **وفي حديث آخر**
من رواية أبي أمامة لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى
يأتيهم أمر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله وأين هم قال ببيت المقدس وأخبر بملك
بني أمية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بني أمية مال الله دولا وخروج ولد
العباس بالرايات السود وملكهم أضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال
أهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي رضي الله عنه وأن أشقاها الذي
يخضب هذه من هذه أي لحيته من رأسه وأنه قسيم النار يدخل أولياءه الجنة

وأعوان النار يكونون من عداد الخوارج والناصبة وطريقة من نسب إليهم
من الترك وأنهم قريب ... وقال يقتل عثمان رحمه الله وهو يقرأ المصحف وإن الله
عسى أن يلبسه قميصا وأنهم يريدون خلعه وأنه سيقطر دمه على قوله تعالى
فسيكفيكهم الله وأن الفتن لا تهم باءها ام تم حينا ومحاربة الزبير لعلي رضي
الله عنهما وتنباح كلاب الحوأب على بعض نسائه وأنه يقتل حولها قتلى كثيرة
وتنجو بعد ما كادت فنبحت على عائشة عند خروجها إلى البصرة وأن عمارا
تقتله الفئة الباغية فقتله أصحاب معاوية وقال لعبد الله بن الزبير ويل
للناس منك وقال في قزمان وقد أبلى مع المسلمين إنه من أهل النار فقتل نفسه
وقال في جماعة فيهم أبو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا في النار
فكان بعضهم يسأل عن بعض فكان سمرة رضي الله عنه آخرهم موتا هرم
وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال في حنظلة الغسيل سلوا
زوجه عنه فإني رأيت الملائكة تغسله فقالت إنه خرج جنبا وأعجله الحال عن
الغسل قال أبو سعيد وجدنا رأسه يقطر ماء وقال الخلافة في قريش ولن
يزال هذا الأمر في قريش ما أقاموا الدين **وقال عليه السلام** يكون في
ثقيف كذاب ومبير فرأوهما الحجاج والمختار وبأن مسيلمة يعقره الله
وأن فاطمة رحمها الله أول أهله لحوقا به وأنذر بالردة وبأن الخلافة بعده
ثلاثون ثم ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي رضي الله عنه **وقال**
إن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا
ثم يكون عتوا وجبروتا وفسادا في الأمة **وأخبر بشأن** أويس القرني
وبأمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها وأنه سيكون في أمته ثلاثون كذابا
فيهم أربع نسوة وفي حديث آخر ثلاثون دجالا كذابا آخرهم الدجال الكذاب
كلهم يكذب على الله ورسوله وقال عليه السلام يوشك أن يكثر فيكم العجم
يأكلون فيئكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس

بعصاه رجل من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي
بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون
ولا يوفون وقال لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه وقال هلاك أمتي
على يدي أغيلمة من قريش **قال أبو هريرة** راويه لو شئت سميتهم لكم بنو
فلان وبنو فلان وأخبر بظهور القدرية والرافضة وسب آخر هذه الأمة
أولها وقلة الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل أمرهم يتبدد
حتى لم تبق لهم جماعة وأنهم سيلقون بعده أثرة **وأخبر صلوات الله
عليه وسلامه** بشأن الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم وأن سيماهم
التحليق ويرى رعاء الغنم رؤوس الناس والعراة الحفاة يتبارون في البنيان
وأن تلد الأمة ربتها وأن قريشا والأحزاب لا يغزونه أبدا وأنه هو يغزوهم
وأخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح المقدس وما وعد من سكنى البصرة وأنهم
يغزون في البحر كالملوك على الأسرة وأن الدين لو كان منوطا بالثريا لناله
رجال من أبناء فارس وهاجت ريح في غزاته فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا
إلى المدينة وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه ضرس أحدكم في النار أعظم
من أحد قال أبو هريرة فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت أنا ورجل فقتل
مرتدا يوم اليمامة وأعلم بالذي غل خرزا من خرز يهود وجدت بين
رحله وبالذي غل الشملة وحيث هي وبناقته عليه السلام حين ضلت وكيف
تعلقت بالشجرة بخطامها وبشأن كتاب حاطب إلى أهل مكة وبقضية
عمير مع صفوان حين سارّه وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم
فلما جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله وأطلعه رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الأمر والسر أسلم **وأخبر** عليه السلام بالمال
الذي تركه عمه العباس عند أم الفضل بعد أن كتمه فقال ما علمه غيري
وغيرها وأسلم وأعلم أنه سيقتل أبي بن خلف وفي عتبة بن أبي لهب

أنه بات كلب الله وعن مصارع أهل بدر فكان كما قال . **وقال**
في الحسن إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين
ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون
وأخبر عليه السلام بقتل أهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر أو أزيد
وبموت النجاشي يوم مات وهو بأرضه وأخبر فيروز إذ ورد عليه رسولا
من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة أسلم وأخبر
أبا ذر بتطريده كما كان ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك إذا
أخرجت منه قال أسكن المسجد الحرام قال فإذا أخرجت منه الحديث وبعيشه
وحده وموته وحده **وأخبر** أن أسرع أزواجه لحوقا به أطولهن يدا فكانت
زينب لطول يدها بالصدقة **وأخبر** بقتل الحسين بالطف وأخرج بيده تربة — به
وقال فيها مضجعه **وقال** في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه إلى
الجنة فقطعت يده في الجهاد **وقال** صلى الله عليه وسلم في الذين كانوا
معه على حراء اثبت فإنما عليك نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان
وطلحة والزبير وطعن سعد **وقال** لسراقة كيف بك إذا ألبست سواري
كسرى فلما أتي بهما عمر ألبسهما إياه وقال الحمد لله الذي سلبهما
كسرى وألبسهما سراقة **وقال** تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل
والصراة تجبى إليها خزائن الأرض يخسف بها يعني بغداد **وقال** سيكون
في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الأمة من فرعون لقومه
وقال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة . وقال
عليه السلام لعمر في سهيل بن عمرو وعسى أن يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان — سهيل
كذلك قام بمكة مقام أبي بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم
وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم . وقال لخالد حين وجهه لأكيدر
إنك تجده يصيد البقر **فوجدت** هذه الأمور كلها في حياته وبعد

موته فيهما وقال عليه السلام إلى ما أخبر به جلساءه من أسرارهم وبواطنهم واطلع
عليه من أسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى إن كان بعضهم
ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء
وإعلامه صلى الله عليه وسلم بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الأعصم وكونه
في مشط ومشاطة في جف طلع نخلة ذكر وأنه ألقي في بئر ذروان فكان كما
قال ووجد على تلك الصفة وإعلامه قريشا بأكل الأرضة ما في صحيفتهم
التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وأنها أبقت فيها كل
اسم لله فوجدوها كما قال ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه
في خبر الإسراء ونعته إياه نعت من عرفه وإعلامهم بعيرهم التي مر عليها في
طريقه وإنذارهم بوقت وصولها فكان كله كما قال صلى الله عليه وسلم
إلى ما أخبر به من الحوادث التي تكون ولم تأت بعد ومنها ما ظهرت مقدماتها
كقوله عليه السلام عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة
وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ومن أشراط الساعة وآيات حلولها
وذكر الحشر والنشر وأخبار الأبرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيامة
وبحسب هذا الفصل أن يكون ديوانا مفردا يشتمل على أجزاء وحده وفيما
أشرنا إليه من نكت الأحاديث التي ذكرناها كفاية وأكثرها في
الصحيح وعند الأئمة والله المستعان

فصل في عصمة الله تعالى له
من الناس وكفايته من آذاه قال الله تعالى

والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا . وقال
تعالى أليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا أعداءه المشركين وقيل غير
هذا وقال تعالى إنا كفيناك المستهزئين وقال تعالى وإذ يمكر بك الذين
كفروا الآية . حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الصدفي بقراءتي عليه

والذي فيه الجامع قد ذكر أبو بكر محمد بن عبد الله الأبهري قال لنا أبو الحسن البصري
قال نا أبو بكر البغدادي نا أبو علي الشيحي نا أبو العباس المروزي نا
أبو عيسى الحافظ نا عبد بن حميد نا مسلم بن إبراهيم نا الحرث بن عبيد الله
عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة رضي الله عنها قالت
كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك
من الناس فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم يا أيها
الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل. وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان إذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة يقيل تحتها فأتاه أعرابي فاخترط
سيفه فقال من يعصمك مني فقال الله فرعدت يد الأعرابي وسقط سيفه
وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت هذه الآية. وقد رويت
هذه القصة في الصحيح وأن غورث بن الحارث صاحب هذه القصة وأن النبي
صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع إلى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس
وحكيت مثل هذه الحكاية أنها جرت له يوم بدر وقد انفرد عليه السلام
عن أصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله. وقد روي أنه
وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي أمر مع رجل اسمه دعثور بن الحارث وأن
الرجل أسلم فلما رجع إلى قومه الذين أغروه وكان سيدهم وأشجعهم قالوا له
أين ما كنت تقول وقد أمكنك فقال إني نظرت إلى رجل أبيض طويل فدفع
في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف مني فعرفت أنه ملك وأسلمت
قيل وفيه نزلت الآية يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم
قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم الآية. وفي رواية الخطابي أن غورث
بن الحرث المحاربي أراد أن يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به إلا وهو
قائم على رأسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب
لوجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده. الزلخة وجع الـ[illegible]

وقيل في قصته غير هذا وذكر أن فيه نزلت يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت
الله عليكم إذ هم قوم الآية. وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف
قريشا فلما نزلت هذه الآية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني. وذكر
عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه وهي جمر على طريق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنما يطؤها كثيبا أهيل. وذكر ابن إسحاق
عنها أنها لما بلغها نزول تبت يدا أبي لهب وذكرها بما ذكرها الله
مع زوجها من الذم أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد
ومعه أبو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر إلا أبا بكر
وأخذ الله ببصرها عن نبيه عليه السلام فقالت يا أبا بكر أين صاحبك فقد
بلغني أنه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه. وعن الحكم
بن أبي العاص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا رأيناه سمعنا
صوتا خلفنا ما ظننا أنه بقي بتهامة أحد فوقعنا مغشيا علينا فما أفقنا
حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله ثم تواعدنا ليلة أخرى فجئنا حتى إذا
رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه. وعن عمر رضي الله عنه
تواعدت أنا وأبو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح الحاقة ما الحاقة إلى فهل ترى لهم من
باقية فضرب أبو جهم على عضد عمر وقال انج وفرا هاربين فكان من
مقدمات إسلام عمر. ومنه العبرة المشهورة والكفاية التامة عندما
أخافته قريش واجتمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام
على رؤوسهم وقد ضرب الله على أبصارهم وذر التراب على رؤوسهم وخلص
منهم وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله له من الآيات ومن العنكبوت
الذي نسج عليه حتى قال أمية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما أربكم
فيه وعليه من نسج العنكبوت ما أرى أنه قبل أن يولد محمد وقفت

خ وقرأ

والكهانة

جماعتنا زعيم قم الغار وقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت العنكبوت والحمام
وقصته عليه السلام مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد
جعلت قريش فيه وفي أبي بكر الجعائل لمن يأتي به فركب فرسه واتبعه
حتى إذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم
فرسه فخر عنها واستقسم بالأزلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا
حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يلتفت
وقال للنبي صلى الله عليه وسلم أوتينا فقال لا تحزن إن الله معنا فساخت
ثانية إلى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان
فناداهم بالأمان وكتب له النبي صلى الله عليه وسلم أمانا كتبه ابن فهيرة
وقيل أبو بكر وأخبرهم بالأخبار وأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يترك
أحدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما ها هنا وقيل بل قال
لهما أراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي
صلى الله عليه وسلم وفي خبر آخر أن راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا
فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع وأنسي ما خرج له حتى
رجع إلى موضعه ؛ وجاء فيما ذكر ابن إسحاق وغيره أن أبا جهل
وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحه عليه فلزق بيده ويبست يداه إلى عنقه
وأقبل يرجع القهقرى إلى خلفه ثم سأله أن يدعو له ففعل فانطلقت يداه
وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن
شأنه فذكر أنه عرض لي دونه فحل ما رأيت مثله قط هم بي أن يأكلني فقال
النبي عليه السلام ذلك جبريل لو دنا لأخذه ؛ وذكر السمرقندي أن رجلا
من بني المغيرة أتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره
فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى
نادوه وذكر أن في هاتين القصتين نزلت إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا

حلف لئن رآه ليدمغنه

جبريل

لا يبصرون ومن ذلك ما ذكر ابن إسحاق في قصته إذ خرج إلى قريظة في
أصحابه فجلس إلى جدار بعض آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش أحدهم ليطرح عليه
رحا فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف إلى المدينة وأعلمهم بقصتهم وقد
قيل إن قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم الآية
في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي أنه خرج إلى بني النضير يستعين
في عقل الكلابيين الذين قتلهما عمرو بن أمية فقال له حيي بن أخطب اجلس
يا أبا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي عليه السلام مع
أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وتوامر حيي معهم على قتله فأعلم جبريل
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد حاجته حتى دخل المدينة
وذكر أهل التفسير ومعنى الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا جهل
وعد قريشا لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته فلما صلى النبي عليه السلام
أعلموه فأقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه
فسئل فقال لما دنوت منه أشرفت على خندق مملوء نارا كدت أهوي
فيه وأبصرت هولا عظيما وخفق أجنحة قد ملأت الأرض فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا
ثم أنزل الله على النبي صلى الله عليه وسلم كلا إن الإنسان ليطغى الآية
إلى آخر السورة ويروى أن شيبة بن عثمان الحجبي أدركه يوم حنين وكان
حمزة رضي الله عنه قد قتل أباه وعمه فقال اليوم أدرك ثأري من محمد
فلما اختلط الناس أتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما
دنوت منه ارتفع إلي شواظ من نار أسرع من البرق فوليت هاربا وأحس
بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو
أبغض الخلق إلي فما رفعها إلا وهو أحب الخلق إلي وقال لي ادن فقاتل
فتقدمت أمامه أضرب بسيفي وأقيه بنفسي ولو لقيت أبي تلك

جماعة

الساعة لا وقت [illegible] وعن [illegible]
عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة
قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر
لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق
الله شيئا أحب إلي منه **ومن مشهور ذلك** خبر عامر بن
الطفيل وأربد بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر
قال له أنا أشغل عنك وجه محمد صلى الله عليه وسلم فاضربه أنت فلم يره
فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت أن أضربه إلا وجدتك
بيني وبينه أفأضربك ومنه عصمته له تعالى أن كثيرا من اليهود والكهنة
أنذروا به وعينوه لقريش وأخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه
الله تعالى حتى بلغ فيه أمره **ومن ذلك** نصره بالرعب أمامه مسيرة
شهر كما قال عليه السلام

فصل ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من
المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين
ومعرفته بأمور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح أمته
وما كان في الأمم قبله وقصص الأنبياء والرسل والجبابرة والقرون
الماضية من لدن آدم عليه السلام إلى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي
سيرهم وسرد أنبائهم وأيام الله فيهم وصفات أعيانهم واختلاف آرائهم
والمعرفة بمدد أعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل أمة من الكفرة
ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم وإعلامهم بأسرارها
ومخبآت علومها وأخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه إلى الاحتواء على
لغات العرب وغريب ألفاظ فرقها والإحاطة بضروب فصاحتها والحفظ
لأيامها وأمثالها وحكمها ومعاني أشعارها والتخصيص بجوامع

[illegible] بضرب الأمثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم
للغامض والتبيين للمشكل إلى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا
تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الأخلاق ومحامد الآداب وكل شيء مستحسن
مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا إلا من جهة الخذلان بل كل جاحد له
وكافر من الجاهلية به إذا سمع ما يدعو إليه صوبه واستحسنه دون طلب
إقامة برهان عليه ثم ما أحل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان
به أنفسهم وأعراضهم وأموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف
بالنار آجلا إلى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة
والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلم مما اتخذ أهل هذه
المعارف كلامه عليه السلام فيها قدوة وأصولا في علمهم كقوله عليه
السلام الرؤيا لأول عابر وهي على رجل طائر وقوله عليه السلام الرؤيا
ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان
وقوله إذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله أصل كل
داء البردة وما روي عنه في حديث أبي هريرة من قوله المعدة حوض البدن
والعروق إليها واردة وإن كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا
تكلم عليه الدارقطني وقوله خير ما تداويتم به السعوط واللدود
والحجامة والمشي وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة وإحدى
وعشرين وفي العود الهندي سبعة أشفية وقوله عليه السلام ما ملأ
ابن آدم وعاء شرا من بطن إلى قوله عليه السلام فإن كان لا بد فثلث للطعام
وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله وقد سئل عن سبأ أرجل هو أم امرأة
أم أرض فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة الحديث بطوله
وكذلك جوابه في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على
شغلها بالنسب إلى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله عليه السلام

جميع لسان العرب و[illegible] ومن [illegible] وعلل صفتها والأمر كاعدتها وجمعتها
وحقول أعاريبها وأوزانها * وقوله إن الزمان قد استدار كهيئته يوم
خلق الله السموات والأرض * وقوله في الحوض زواياه سواء * وقوله
في حديث الذكر وإن الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون على اللسان وألف وخمس
مائة في الميزان * وقوله وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا * وقوله عليه
السلام ما بين المشرق والمغرب قبلة * وقوله لعيينة أو الأقرع أنا أفرس بالخيل
منك * وقوله لكاتبه ضع القلم على أذنك فإنه أذكر للممل هذا مع أنه
صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه أوتي علم كل شيء حتى قد وردت
آثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله عليه السلام لا تمدوا بسم
الله الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس * وقوله في الحديث الآخر
الذي يروى عن معاوية أنه كان يكتب بين يديه عليه السلام فقال له ألق الدواة
وحرف القلم وأقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن
وجود الرحيم وهذا وإن لم تصح الرواية أنه عليه السلام كتب فلا يبعد أن يرزق
علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة * وأما علمه عليه السلام بلغات العرب وحفظه
معاني أشعارها فأمر مشهور قد نبهنا على بعضه أول الكتاب وكذلك
حفظه لكثير من لغات الأمم كقوله في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية
وكقوله ويكثر الهرج وهو القتل بها * وقوله في حديث أبي هريرة أشكنب
درد أي وجع البطن بالفارسية إلى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم
به ولا ببعضه إلا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة أهلها
عمره وهو رجل كما قال الله تعالى أمي لم يكتب ولم يقرأ ولا عرف بصحبة من
هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الأمور ولا
عرف هو قبل بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك الآية إنما كانت غاية معارف العرب النسب وأخبار

أوائلها والشعر والبيان وإنما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال
بطلبه ومباحثة أهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا
سبيل إلى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما
نصصناه إلا قولهم أساطير الأولين وإنما يعلمه بشر فرد الله تعالى قولهم
بقوله تعالى لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين * ثم ما قالوه
مكابرة العيان فإن الذي نسبوا تعليمه إليه إنما هو سلمان الفارسي أو العبد
الرومي * وسلمان إنما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن وظهور ما لا
يعد من الآيات * وأما الرومي فكان أسلم وكان يقرأ على النبي عليه السلام
واختلف في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما
أعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ما أتى
به والإتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تأليفه ونظمه فكيف بأعجمي
ألكن نعم وقد كان سلمان أو بلعام الرومي أو يعيش أو جبر أو يسار على
اختلافهم في اسمه بين أظهرهم يكلمونهم مدى أعمارهم فهل حكي عن واحد
منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمد عليه السلام وهل عرف واحد منهم بمعرفة
شيء من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده
أن يجلس إلى هذا فيأخذ عنه أيضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته
كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من أخبار كتبه ولا غاب النبي عليه السلام
عن قومه ولا كثرت اختلافاته إلى بلاد أهل الكتاب فيقال إنه استمد منهم
بل لم يزل بين أظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة أبنائهم ثم لم يخرج عن
بلادهم إلا في سفرة أو سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيها تعليم
القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقه عشيرته
لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف إلى حبر
أو قس أو منجم أو كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجيء ما أتى به

وجبر

وإن لم يصح

شيعته

بها

هذا

فى معجم [illegible] والنبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

فصل ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته وباهر
اياته انباؤه مع الملائكة والجن وإمداد الله له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية
كثير من أصحابه لهم قال الله تعالى وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل
الاية وقال عز وجل إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا
الاية وقال تعالى إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم الايتين
وقال تعالى وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الاية نا سفيان
بن العاصي الفقيه سماعا عليه نا ابو الليث السمرقندي قال نا عبد الغافر
الفارسي نا أبو أحمد الجلودي نا أبو سفيان نا مسلم نا عبيد الله بن معاذ نا ابي
نا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد رأى من آيات
ربه الكبرى قال رأى جبريل عليه السلام في صورته له ستمائة جناح
في محادثته مع جبريل واسرافيل وغيرهما من الملائكة وما شاهده من كثرتهم
وعظم صور بعضهم ليلة الإسراء مشهور وقد رآهم بحضرته جماعة من اصحابه
في مواطن مختلفة فرأى اصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله عن
الاسلام والايمان ورأى ابن عباس وأسامة وغيرهما عنده جبريل في صورة دحية
ورأى سعد على يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب
بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم بدر
وبعضهم رأى تطاير رءوس الكفار بينهم ولا يرون الضارب ورأى ابو سفيان
بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض ما يقوم لها شيء
وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن الحصين وأرى النبي عليه السلام
حمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه ورأى عبد الله بن مسعود الجن
ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد ان مصعب
بن عمير لما قتل يوم أحد أخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله
عليه وسلم يقول تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم انه ملك
صلى الله عليه وسلم وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب
أنه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ اقبل شيخ بيده عصى فسلم
على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال نغمة الجن من انت قال انا هامة بن
الهيم بن لاقيس بن ابليس فذكر انه لقي نوحا ومن بعده في حديث طويل وأن
النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن وذكر الواقدي قتل خالد عند
هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها بسيفه واعلم
النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى **وقال عليه السلام**
إن شيطانا تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته
فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت
دعوة أخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي
فرده الله خاسئا وهذا باب واسع **فصل ومن**
دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وعلاماته رسالته ما ترادفت به الاخبار
عن الرهبان والاحبار وعلماء أهل الكتاب من صفته وصفة أمته واسمه
وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد من ذلك في اشعار الموحدين
المتقدمين من شعر تبع والأوس بن حارثة وكعب بن لؤي وسفيان بن
مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به
من أمره عليه السلام زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري
وعلماء يهود وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما ألفي من
نعته في التوراة والانجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنهما ثقات
من أسلم منهم مثل ابن سلام وبني سعية وابن يامين ومخيريق وكعب واشباههم
ممن اسلم من علماء يهود وبحيرا ونسطور وصاحب بصرى ونصارى الحبشة
وضغاطر وأسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي وصاحب بصرى

ورهبان

ونصارى الحبشة وصاحب بصرى واسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي
وراهب بصرى واساقف نجران وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى وهر
قل وصاحب رومة عالما النصرانية ورئيساهم ومقوقس
صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن اخطب واخوه وكعب بن
أسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد والمنافسة
على البقاء على الشقاء والاخبار في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع اسماع
يهود والنصارى بما ذكر انه في كتبهم من صفته وصفة أصحابه رضوان الله
عليهم واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف
ذلك وكتمانه وليهم ألسنتهم ببيان أمره ودعوتهم المباهلة على الكاذب
فما منهم إلا من نفر عن معارضته وإبداء ما ألزمهم من كتبهم إظهاره ولو
وجدوا خلاف قوله لكان إظهاره أهون عليهم من بذل النفوس والاموال
وتخريب الديار ونبذ القتال: وقد قال لهم قل فاتوا بالتوراة فاتلوها
إن كنتم صادقين إلى ما أنذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح
وسواد بن قارب وخنافر وأفعى نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة
الدوسي وسعد بنت كريز وفاطمة بنت النعمان ومن لا يعد
كثرة إلى ما ظهر على ألسنة الاصنام من نبوته وحلول وقت رسالته
وسمع من هواتف الجان ومن ذبائح النصب وأجواف الصور وما وجد
من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة
والقبور بالخط القديم ما أكثره مشهور وإسلام من أسلم بسبب ذلك
معلوم مذكور: **فصل** ومن ذلك ما ظهر من الآيات
عند مولده وما حكته أمه ومن حضره من العجائب ليلة مولده وكونه
عليه السلام رافعا رأسه عند ما وضعته شاخصا ببصره إلى السماء وما
رأته من النور الذي خرج معه عند ولادته: وما رأته إذ ذاك أم عثمان بن

أبي العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر إلا النور
وقول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه السلام على يدي
واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب
حتى نظرت إلى قصور الروم: وما تعرفه حليمة وزوجها ظئراه
من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة
شبابه وحسن نشأته وما جرى من العجائب ليلة مولده من ارتجاج
إيوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس
وكان لها ألف عام لم تخمد: وأنه كان عليه السلام إذا أكل مع عمه
أبي طالب وآله وهو صغير شبعوا ورووا فإذا غاب فأكلوا في غيبته
لم يشبعوا وكان سائر ولد أبي طالب يصبحون شعثا ويصبح صلى الله
عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا: قالت أم أيمن حاضنته ما رأيته صلى الله
عليه وسلم شكا جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا: **ومن ذلك**
حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع
وما نشأ عليه صلى الله عليه وسلم من بغض الاصنام والعفة عن أمور
الجاهلية وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور
عند بناء الكعبة إذ أخذ إزاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة
وتعرى فسقط إلى الارض حتى رد إزاره عليه فقال له عمه ما بالك فقال
نهيت عن التعري: **ومن ذلك** إظلال الله له بالغمام في سفره
وفي رواية أن خديجة ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك
لميسرة فأخبرها أنه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره وقد روي أن حليمة
رأت غمامة تظله وهو عندها وروي ذلك عن أخيه من الرضاعة
ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل في بعض أسفاره قبل مبعثه تحت
شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها وأينعت هي وأشرفت وتدلت عليه

اعتصافها المختصر من ذلك ومثل بعير والشجرة إليه في الخبر الآخر حتى اصيبت
ومما ذكر من أنه كان عليه السلام لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لأنه
كان نورا وأن الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه **ومن ذلك**
تحبيب الخلوة إليه حتى أوحى الله إليه ثم إعلامه بموته ودنو أجله وأن
قبره في المدينة وفي بيته وأن بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله ومنبري
له عند موته **وما اشتمل عليه** حديث الوفاة من كراماته صلى الله
عليه وسلم وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده على ما رويناه في بعضها
واستئذان ملك الموت عليه ولم يستأذن على غيره قبله وندائهم الذي سمعوه
أن لا تنزعوا عنه القميص عند غسله وما روي من تعزية الخضر والملائكة
أهل بيته عند موته إلى ما ظهر على أصحابه رضي الله عنهم من كراماته وبركته
في حياته ومماته كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته

فصل قال القاضي رضي الله عنه قد أتينا في هذا
الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد
منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الأحاديث
الطوال على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الأحاديث وغريبها على ما
صح واشتهر إلا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الأئمة وحذفنا الإسناد
في جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصي أن يكون
ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا عليه السلام أظهر
من سائر معجزات الرسل بوجهين أحدهما كثرتها وأنه لم يؤت نبي معجزة
إلا وعند نبينا عليه السلام مثلها أو ما هو أبلغ منها وقد نبه الناس على
ذلك فإن أردته فتأمل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الأنبياء
تقف على ذلك إن شاء الله وأما كونها كثيرة فهذا القرآن وكله معجز
وأقل ما يقع الإعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين سورة إنا أعطيناك

الكوثر أو آية في قدرها وذهب بعضهم إلى أن كل آية منه كيف كانت
معجزة وزاد آخرون أن كل جملة منتظمة منه معجزة وإن كانت من كلمة أو
كلمتين والحق ما ذكرناه أولا لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله فهو أقل
ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه وإذا كان هذا ففي
القرآن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف على عدد بعضهم
وعدد كلمات إنا أعطيناك الكوثر عشر كلمات فيتجزأ القرآن على
نسبة عدد إنا أعطيناك الكوثر أزيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها
معجز في نفسه ثم إعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه
فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه
ثم فيه وجوه إعجاز أخر من الإخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة
الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن أشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه
معجز فتضاعف العدد كرة أخرى ثم وجوه الإعجاز الأخر التي ذكرناها
توجب التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا
يحوي الحصر براهينه ثم الأحاديث الواردة والأخبار الصادرة عنه
عليه السلام في هذه الأبواب وعما دل على أمره مما أشرنا إلى جمله يبلغ
نحوا من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم فإن معجزات
الرسل كانت بقدر همم أهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما
اليهم كان زمن موسى عليه السلام غاية علم أهله السحر بعث فيهم موسى
بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن
في قدرتهم وأبطل سحرهم وكذلك زمن عيسى عليه السلام أغنى ما
كان الطب وأوفر ما كان أهله فجاءهم أمر لا يقدرون عليه وأتاهم
بما لم يحتسبوه من إحياء الميت وإبراء الأكمه والأبرص دون معالجة
ولا طب وهكذا سائر معجزات الأنبياء صلوات الله عليهم ثم إن الله

تعلق بعث محمد صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها أربعة
البلاغة والشعر والخبر والكهانة فأنزل الله عليه القرآن الخارق لهذه
الاربعة فصول من الفصاحة والإيجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم
ومن النظم الغريب والأسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه
ولا علموا في أساليب الأوزان منهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث
والأسرار والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها
بصحة ذلك وصدقه وإن كان أعدى العدو فأبطل الكهانة التي
تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من أصلها برجم الشهب ورصد
وجاء من الاخبار عن القرون السالفة وأنباء الانبياء والأمم البائدة البائدة
والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه
التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه
الوجوه إلى الفصول الأخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة
إلى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي لا يخفى وجوه ذلك على من
نظر فيه وتأمل وجوه إعجازه إلى ما أخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا
يمر عصر ولا زمن إلا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما أخبر فيتجدد
الإيمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة
في اليقين والنفس أشد طمأنينة إلى عين اليقين منها إلى علم اليقين وإن
كان كل عندها حقا وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم
وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا عليه السلام لا تبيد ولا تنقطع
وآياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا أشار عليه السلام بقوله فيما
القاضي الشهيد أبو علي نا القاضي أبو الوليد نا أبو ذر نا أبو محمد و الشهيد
أبو إسحاق وأبو الهيثم قالوا نا الفربري نا البخاري نا عبد العزيز بن عبد
الله نا الليث عن سعيد عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى

ما من الانبياء نبي الا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر
وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أني أكثرهم
تابعا يوم القيامة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر
والصحيح إن شاء الله تعالى وذهب غير واحد من العلماء في تأويل هذا
الحديث وظهور معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم إلى معنى ثالث من ظهورها بكونها
وحيا وكلاما لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه ولا التشبيه فإن غيرها
من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها بأشياء طمعوا في التخييل بها على
الضعفاء كإلقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر
أو يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للسحر في التخييل فيه عمل فكان
من هذا الوجه عندهم أظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا
خطيب أن يكون شاعرا أو خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتأويل
الأول أخص وأرضى وفي هذا التأويل الثاني ما يغمض الجفن عليه
ويغضى وجه رابع على مذهب من قال بالصرفة وأن المعارضة كانت
في مقدور البشر فصرفوا عنها أو على مذهب أهل السنة من أن الإتيان بمثله
من جنس مقدورهم ولكنهم لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد
لأن الله تعالى لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين المذهبين فرق بين
وعليهما جميعا فترك العرب الإتيان بما في مقدورهم أو ما هو من
جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والإذلال وتغيير
النعم وسلب النفوس والأموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد
والوعيد أبين آية للعجز عن الإتيان بمثله والنكول عن معارضته وأنهم
منعوا عما هو من جنس مقدورهم وإلى هذا ذهب الإمام
أبو المعالي الجويني وغيره قال وهذا عندنا أبلغ في خرق العادة
بالأفعال البديعة في أنفسها كقلب العصا حية ونحوها فإنه

قد يئسوا من تأتي المعارضة بما أتى به الطب من اختصاص صاحبه في الطب
بمزية معرفته في ذلك الطب العجز وقطع على أن تبرئة الأكمه صحيح النظر
وإذا تحدى الخطباء من البلغاء بكلام من جنس كلامهم ليأتوا
بمثله وعلم أن لم يأتوا بمثله بعد توفر الدواعي على المعارضة علم أن منعها إلا
منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي آيتي أن يمنع الله القيام على الناس
مع قدرتهم عليه وإن تداعى الزمانة عليهم فكان ذلك وعجزهم الله عن
القيام لكان ذلك من أبين آية وأظهر دلالة وبالله التوفيق

وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آيات
حتى احتاج المعتزلة عن الطب بزمن أقوام العرب وفي ذكاء ألبابهم
عقولها وأنهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من
إدراكهم وعجزهم من الفقط وفي إسرائيل وغيرهم لم يكونوا
بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون
وجوز عليهم السامري في أمر العجل بعد إيمانهم وعبروا المسيح
على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجعل آية لهم من
النبوءة للأبصار بقدر غلظ أفهامهم مما لا يشكون فيه
فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على
واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها
تعترف بالصانع وإنما كانت تتقرب بالأصنام إلى الله
من بالله وخبره من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بل كان عقله
ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا
لأول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم إيمانا ورفضوا
في صحبته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وأبناءهم
في معنى هذا بما يلوح له رونق يعجب منه

وخوفو